عبده مباشر

حوار مع أبو عمار



دار المعارف

اقرأ
تصدر أول كل شهر
[٥١٤] - أغسطس - ١٩٨٥

رئيس التحرير صلاح منتصر

تصميم الغلاف : منال بدران

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

ياسر عرفات

- الأسماء الحركية: أبوعمار - الدكتور - رءوف - الختيار - صقر قريش - الوالد - ٥ - ٧ - كبير العائلة - القدس - الرئيس.
- له مكتبان:
العسكرى فى صنعاء.
والسياسى فى تونس.
- هو الرئيس الثالث لمنظمة التحرير بعد أحمد الشقيرى ويحيى حمودة.
- يليه فى هرمية المناصب بمنظمة التحرير، فاروق قدومى رئيس الدائرة السياسية، أما فى حركة فتح فيليه خليل الوزير.

- دخل الأرض المحتلة منذ ١٩٦٥ أكثر من خمس مرات وقاد عملية عسكرية فى القدس عام ١٩٦٨

- حلق لحيته ثلاث مرات، الأولى لدى خروجه من الأردن فى سبتمبر ١٩٧٠ بصحبة الوفد العربى، وذلك للإفلات من قبضة السلطات الأردنية التى كانت تبحث عنه، وقد تمكن بفضل خطة وضعها الفريق محمد صادق رئيس أركان القوات المسلحة المصرية وعضو الوفد الذى أرسلته القمة العربية المنعقدة فى القاهرة، تمكن من الخروج من الأردن والوصول إلى القاهرة، والثانية قبل إلقاء خطابه من فوق منبر الأمم المتحدة فى نوفمبر عام ١٩٧٤، أما الثالثة فقبل دخوله إلى طرابلس لبنان عام ١٩٨٣ ليشارك رجاله مصيرهم، وليتمكن من استثمار الموقف سياسيًا.

- عمل مهندسًا بالكويت وأصبح من أصحاب الثروات.
- قدم أبوعمار كل ما كسبه وادخره - ولم يكن قليلًا - لتمويل إنشاء حركة فتح، وذلك بعد أن انتهت المداولات بين عدد من المهاجرين الفلسطينيين حول تأسيس حركة فتح عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩.

وكانت هذه الطليعة تدرك أن أمامها طريقًا من الأهوال عليها اجتيازه لتمهيد الطريق أمام القوى الفلسطينية، وكان

جزء كبير من هذه الطليعة أعضاء فى اتحاد طلاب فلسطين بالقاهرة.

- منذ بدأت العمليات التنظيمية لم يستقر فى مكان، فهو فى كل مكان يوجد به فلسطينيون، وفى كل مكان يمكن أن يخدم التحضير للثورة بشكل مباشر أو غير مباشر. وكان يتنقل أحيانًا بشكل رسمى وأحيانًا أكثر بأسماء مستعارة، وكان من الطبيعى أن يدخل السجون، وكان من الطبيعى أن يتجنب المراقبات، وكان من الطبيعى أن يغير هيئته ويتنكر فى أشكال مختلفة.
- لم يكن يشارك فقط فى تهريب السلاح وأعمال التنظيم، بل شارك فى العمليات العسكرية الأولى بنفسه، فقد كانت الطلائع قليلة العدد، وبالتالى لايوجد تخصصات، فالكل يعمل فى كل شىء والكل يتفانى فى كل الاتجاهات، ولذا كان على القيادات الأولى أن تشترك مباشرة فى العمليات المسلحة، وكان على «أبوعمار» أن يشارك فى عمليات النسف والقتال وزرع الألغام داخل الأراضى المحتلة قبل معركة يونيو ١٩٦٧

وقد ظل هذا الأسلوب متبعًا فى حركة فتح، ففى كل مراحل الاقتحام ينبغى أن تكون القيادة فى المقدمة وقد كاد ياسر عرفات أن يقع فى يد القوات الإسرائيلية خلال تلك الفترة أكثر من مرة.

– ومن الحكايات التى يرويها أصدقاء أبوعمار أو أبوعمار نفسه عن هذه الأحداث:

كان يستقل عربة لاندروفر يقودها «أبوصبرى» وأبوعمار يجلس بجواره، وكانت المهمة الانتقال عبر الصخور والجبال لمسافة طويلة كى يوصلا شحنة من السلاح والذخائر، وكانت الشحنة تتألف من مئات القنابل اليدوية والألغام والمتفجرات بالإضافة إلى الرشاشات والمدافع وأثناء سيرها على هذه الطريق غير الممهدة والتى اختيرت للابتعاد عن المراقبة والدوريات، انفجر الإطار الخلفى للعربة مما أدى إلى اختلال توازنها فاندفعت إلى جانب الطريق وسقطت من مكانها المرتفع إلى قلب الوادى.

واستيقظ أبوعمار من نومه على إثر السقوط وسأل صديقه «أبوصبرى» إيش جرى يازلمة؟

ورد أبوصبرى وهو يضحك «زى ما أنت شايف» وبرغم سقوط السيارة بما تحمله من متفجرات فلم يصب أى من الرجلين بخدش ولم تنفجر حمولة السيارة، ولوحدث وانفجر أى شيء من الشحنة أواندلعت النار فى العربة نتيجة سقوطها لواجه أبوعمار مصيرًا مأساويًا.

حاولت إسرائيل أكثر من مرة الوصول إلى أبوعمار، وجرى الكشف عن إحدى هذه المحاولات عندما ألقت أجهزة الأمن الفلسطينية القبض على شاب تسلل إلى الضفة الشرقية ومعه

حقيبة بها لغم وجهاز استقبال على هيئة راديو ترانزستور وجهاز إرسال فى داخل علبة خضراوات محفوظة، وهو جهاز صغير يركب فى أى جزء من أجزاء السيارة فيرسل إشارات يمكن التقاطها على مسافة كبيرة، ويمكن بالتالى الاستدلال على مكان السيارة، وقد اعترف الشاب أنه مكلف باغتيال أبوعمار، وأن الجهاز معه لرصد تحركات سيارته.

بعد يونية ١٩٦٧ عاش ٤ شهور داخل إسرائيل، كما يقول هو فى حديث نشر بجريدة لوموند ونقلته عنها جريدة الجمهورية يوم ١٥ مارس ١٩٦٩، وخلال هذه الفترة حمل بطاقة شخصية مزيفة، وقد فتحت له الأبواب على مصاريعها، وتمكن من مخالطة جميع الأوساط السياسية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، منها فترة قضاها عند أحد اليهود فى تل أبيب وقد أفلت هذه المرة أيضا من أيدى السلطات الإسرائيلية.

ويقول فى حديث نشرته مجلة تايم أنه اشترك عشرات المرات فى معارك داخل الأرض المحتلة ولمدة تراوحت بين ١٠، ١٢ ساعة وفى وضح النهار.

ومحاولة أخرى للاغتيال جرى كشفها فى صيف عام ١٩٦٩ وأجرت منظمة فتح تحقيقا، وجرى القبض على بعض الأشخاص الذين يشكلون خلية كاملة تعمل لحساب إسرائيل، وقد توصلت المنظمة إلى معرفة هذه الخلية بعد أن ألقت القبض

على شخص قام بعد ظهر يوم ٩ يوليو ١٩٦٩ بتسليم طرد يحتوى على رسالة متفجرة إلى مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى عمان، وكان هذا الطرد يحوى بداخله الرسالة المتفجرة الموجهة إلى ياسر عرفات وكان موقعًا عليها بخاتم مزور لقيادة قوات حطين التابعة للجيش العراقى المرابط فى الأردن.

يوم ٤ أغسطس أعلن أبو عمار فى بيروت فى حديث صحفى أنه تعرض لأربع محاولات اغتيال، وأن جهازًا لاسلكيًّا وضع مرة فى سيارته ليرسل إشارات إلى الإسرائيليين.

وقال إن قنبلة زمنية وضعت مرة فى سيارته وكانت فى صفيحة «سمنة» وأرسل إليه مرة أخرى راديو به قنبلة وتسلم مرة أخرى حزامًا به مواد ناسفة.

ولم تنجح أى من هذه المحاولات.

تمهيد

لم يؤد اجتياح إسرائيل للبنان فى يونية عام ١٩٨٢ إلى تصديع وتمزيق منظمة التحرير الفلسطينية وكسر بنيتها العسكرية فقط، بل أدى أيضًا إلى زرع بذور الصراع الداخلى، أو فلنقل نمو عوامل الصراع الداخلى ونضوجها بين صفوف منظمة التحرير الفلسطينية بوجه عام، وبين صفوف منظمة فتح كبرى منظمات المقاومة داخل منظمة التحرير، وهى المنظمة التى شكلت من جديد إطار الصراع الفلسطينى الإسرائيلى داخل حركة الصراع العربى الإسرائيلى ككل، وذلك عندما أشعلت نيران المقاومة المسلحة ضد الوجود الإسرائيلى فى البدايات الأولى لعام ١٩٦٥.

ومن النتائج التى أسفر عنها هذا الغزو والصراع الداخلى الذى

انفجر ودخان نيران الحملة العسكرية الإسرائيلية لم ينقشع بعد طرح قضية زعامة منظمة التحرير تحت ظلال أسنة الحراب، وذلك لأول مرة منذ تسلمت منظمة فتح وزعيمها ياسر عرفات قيادة منظمة التحرير فى نهاية الستينات.. وارتفعت الأصوات المؤيدة بانفجارات القنابل والمدعومة بمساندة عربية للمطالبة بزعيم بدلاً من ياسر عرفات..

كما كشف الغزو الإسرائيلى أيضًا حقيقة الأوراق التى تمسك بها القيادة السورية للسيطرة على مقدرات منظمة التحرير لحساب السياسات والأهداف السورية، حتى ولو تعارض ذلك مع استقلالية القرار الفلسطينى أو مع الأهداف الفلسطينية

وإذا كانت سوريا قد حركت الانشقاقات داخل منظمة فتح مما أدى إلى انشقاق علنى وصراع مسلح بين الإخوة الفلسطينيين وسقوط ضحايا برصاص فلسطينى بما شكل مأساة فى التاريخ الفلسطينى، إلا أن قمة هذه المأساة كانت حصار مدينة طرابلس شمال لبنان وإرغام ياسر عرفات ورجاله على الخروج من آخر معقل لهم فى لبنان أى آخر معقل لهم على الحدود الإسرائيلية..

وإذا كان الخروج الأول قد تحقق بأيدى الإسرائيليين فإن الخروج الثانى المتمم للخروج الأول قد تحقق بأيدى المنشقين الفلسطينيين والجنود السوريين.

هذا النصر العسكرى الذى حققه المنشقون ومن حرضوهم وسلحوهم ودعموهم أدى إلى تفتيت ما كان متبقيا من علاقة بين ياسر عرفات والقيادة السورية، وبرغم كل الحرص الذى بذله القائد الفلسطينى على امتداد سنوات للحفاظ على شعرة معاوية مع النظام السورى.

وكان من الضرورى أن يتحرك ياسر عرفات بسرعة بعد هذه الهزيمة العسكرية ليتحاشى الهزيمة السياسية التى كانت تدق أبواب النضال الفلسطينى، والتى كانت على وشك أن تلحق بياسر عرفات نفسه

وكنتيجة لهذه الحركة السياسية استطاع ياسر عرفات المحافظة على شعبيته بين صفوف فلسطينيِّى الضفة الغربية وغزة وفلسطينيىً المسجد الأقصى، بل يمكن القول أن هذه القوة التى لم يرتفع من بينها صوت لتغيير الزعيم الفلسطينى كانت أهم أسباب احتفاظه بمكانه ومكانته.

وفى إطار الحركة السياسية أقدم أبو عمار على زيارة القاهرة بعد خروجه من طرابلس مباشرة،وأحد أهداف هذه الزيارة، توجيه رسالة إلى دمشق لتفهم أن له صداقات وعلاقات فى العالم العربى يمكن الاستناد إليها أيًّا كانت العقبات.

ولكن هذه الزيارة العابرة أدت إلى تصعيد الحملة على أبو عمار

وزيادة حدة الخلافات سواء داخل منظمة التحرير أو داخل صفوف منظمة فتح.

وشهدت الساحة الفلسطينية مزيدًا من التطورات تمثلت فى خروج مجموعة من المنظمات الفلسطينية على الإجماع السياسى لمنظمة التحرير وهذه المنظمات هى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الشعبية - القيادة العامة - (أحمد جبريل)، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، والصاعقة، وجبهة النضال الشعبى، وجبهة التحرير العربية.

وليس معروفًا حتى الآن هل تعود هذه المنظمات للانضواء تحت لواء الإجماع السياسى أم لا؟

وإذا عادت فما هو حجم التنازلات المطلوب ؟ وهل يقبل ياسر عرفات وباقى الأعضاء بهذه التنازلات المطلوبة أو لا؟

وإذا كانت منظمة فتح قد شهدت نقاشًا جادًّا داخل صفوفها عام ١٩٦٩ حول قضية الائتلاف مع المنظمات الفلسطينية الأخرى. فإن ثمرة هذا النقاش أثمرت شكلاً سياسيًا وعسكريًّا متميزًا للعمل الفلسطينى..

ومنذ ذلك التاريخ وحتى الدورة السادسة عشرة للمؤتمر الوطنى فى فبراير ١٩٨٣، كانت مقررات منظمة التحرير تتم على قواعد

وأسس ائتلافية، ولم يكن ياسر عرفات وقيادة فتح بقادرين على التحرك بأبعد مما تسمح لهما مواقف المنظمات الأخرى.

وبعد أحداث بيروت وزيارة القاهرة بدأت الساحة الفلسطينية تشهد حوارًا ونقاشًا جادًا حول مستقبل العمل الفسطينى بين قيادات منظمات فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية ونتائج هذا الحوار قد تمهد الطريق لانعقاد المجلس الوطنى الفلسطينى بما يعنى فتح الباب أمام الإجماع السياسى مرة أخرى، وقد تؤدى إلى تكريس الانقسامات داخل منظمة التحرير.

وإذا كانت القيادة الفلسطينية تبذل جهدها لإعادة الجسور مع النظام السورى مصحوبة بدعم، وأحيانًا بضغوط عربية وأجنبية، فإن ذلك ليس سوى تعبير عن مدى إدراك هذه القيادة لحقيقة الارتباطات بين منظمة التحرير وسوريا. وإذا كانت سوريا قد وظفت هذه الأوراق لصالح أهدافها طوال السنوات الماضية، فإن حركة الأحداث محليًا وإقليميًا وعالميًا ستجعلها أكثر تشبثًا بالورقة الفلسطينية، حتى لا تجد القيادة السورية نفسها كقوة منفردة إقليميًا فى مواجهة رياح الحلول السلمية للصراع العربى الإسرائيلى التى بدأت تهب على منطقة الشرق الأوسط بعد الانتصار العسكرى المصرى فى أكتوبر ١٩٧٣.

والسوريون يدركون جيدًا أن فعالية الحلول السلمية ترتبط

أساسًا بالمشاركة الفلسطينية، وطالما ظل الفلسطينيون خارج هذه السياسات السلمية فإن أحدًا لن يمكنه أن يمضى بعيدًا فى حل قضية الصراع العربى الإسرائيلى.. أما إذا شارك الفلسطينيون فى هذه السياسات فسيكون ذلك مؤشرا لاشتراك الأردنيين، وبعد توقيع مصر لاتفاقيتى كامب ديفيد عام ١٩٧٩، وتفتت الإرادة اللبنانية منذ بدء الحرب الأهلية عام ١٩٧٥، فلن يبقى خارج هذا الإطار سوى سوريا بما يعنى عزلتها عن حركة الأحداث فى المنطقة، ليس ذلك فقط بل سيعنى أيضًا ضعف موقف المفاوض السورى إذا ما رغب فى اللحاق بقطار السلام، وإذا لم يقبل بذلك الموقف فقد ينتهى الأمر بضياع الأمل فى استرداد الأراضى السورية المحتلة..

وإذا ما فكرت القيادة السورية فى خوض تجربة الحرب ضد إسرائيل فإن عليها أن تفكر عشرات المرات، فإن حساب ميزان القوى بين الدولتين يميل بشدة لصالح إسرائيل. وإذا ما خططت للارتكان إلى الدعم السوفيتى فإن درس التخاذل السوفيتى وموقف القيادة السوفيتية المتردى خلال الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢، سيكون حائلا دون المضى فى هذا الطريق.

وإذا كان للسوريين أسبابهم الأخرى بجانب هذه الأسباب للتشبث بالورقة الفلسطينية، فإن للفلسطينيين أسبابهم فى إعادة الجسور مع القيادة السورية، فالعلاقات الفلسطينية السورية تؤدى

إلى علاقات فلسطينية متوازنة مع كل من مصر والأردن والعراق، هذه العلاقات المتوازنة هى التى تحفظ للقيادة الفلسطينية قدرتها على المناورة، فبدون العلاقات مع سوريا يضعف موقف منظمة التحرير تجاه كل من الأردن ومصر والعراق، وهذا يعنى التزام المنظمة بسياسات قد لا تقبل بها فى ظل علاقات متوازنة، ولنمضى خطوة أخرى على طريق الوضوح، إن منظمة التحرير وليس قيادة منظمة التحرير قد أعلنت موافقتها على مقررات مؤتمر فاس، وهى تعلم أنها مقررات بدون قوة قادرة على بعث الحياة فيها، وبالتالى فهى مقررات لإعلان مواقف دون مضمون جاد، بجانب استهدافها عدم الاستجابة لمبادرة ريجان التى أعلنها فى سبتمبر ١٩٨٢.

وفى نفس الوقت فإن الأردن رغم اشتراكه فى مؤتمر فاس إلا أن قيادته لا ترفض المضى على طريق مبادرة ريجان إذا كان يسندها موقف فلسطينى.. ومصر التى وقعت اتفاقيتى كامب ديفيد وأعلنت موافقتها على مبادرة ريجان إدراكًا منها أن كل وقت يمضى دون الوصول إلى حل سلمى لقضية الصراع العربى الإسرائيلى، والفلسطينى الإسرائيلى، إنما يعنى ضياع فرصة طيبة ومواتية لحل مشرف، فإن ذلك قد يعنى للقيادة الفلسطينية أن تمضى فى طريق قد لا تكون ظروفها تسمح به خلال هذه المرحلة..

فإذا كانت مصر والأردن قد حددتا خياراتها، فإن المنظمة لم تحدد

خيارها بعد، وغياب العلاقة مع سوريا قد يعجل بتحديد هذا الخيار وفى ظروف غير صحية أو غير مواتية من وجهة نظر القيادة الفلسطينية.

والقيادة الفلسطينية تدرك أيضاً أن سوريا هى مخزن السلاح الرئيسى للثورة الفلسطينية، وهى الجبهة الرئيسية التى يمكن الاستناد إليها فى الخيار العسكرى إذا تقرر نبذ خيار السلام، ومجرد الاحتفاظ بالخيار العسكرى يفتح الطريق بصورة أفضل للخيار السلمى.. فخسارة سوريا تعنى خسارة قاعدة مهمة ومستقلة للعمل العسكرى، خاصة أن المنظمة أصبحت لا تملك أى خط مواجهة مع إسرائيل الآن.

ولا يغيب عن القيادة الفلسطينية أن القيادة السوفييتية لا ترحب بتفكيك العلاقات الفلسطينية السورية، بل إنها ترى فى هذه العلاقات أو هذا التحالف نقطة الارتكاز القوية للنفوذ السوفييتى فى منطقة الشرق الأوسط، خاصة بعد انحسار هذا النفوذ فى مواجهة المد الأمريكى الذى شمل المنطقة منذ أكتوبر ١٩٧٣.

وعدم ترحيب القيادة السوفييتية جرى التعبير عنه بصور شتى ومواقف عملية استوعبتها القيادة الفلسطينية جيدًا بحيث أصبحت تدرك أن استمرار الدعم والإمدادات السوفييتية يرتبط باستمرار التحالف السورى الفلسطينى ورفض طريق السلام طالما ظلت

ترفرف عليه الأعلام الأمريكية.

وفى إطار المحاولات السوفييتية لتوسيع نطاق الأرض التى تقف عليها فى منطقة الشرق الأوسط قامت بإعادة طرح مشروع المؤتمر الدولى الذى رحبت به سوريا والقيادة الفلسطينية.

وإذا كانت الأحداث التى شهدتها المنطقة بعد الغزو الإسرائيلى للبنان قد أدت إلى تصديع السيطرة السورية التى كانت تمارسها على القيادة الفلسطينية حتى عام ١٩٨٣ فإن الأمر لم يكن شرًا كله، فقد ترتبت عليه حرية تحرك أكبر للقيادة الفلسطينية، وإن كانت محكومة بإدراك مدى الاختلال فى التوازن فى العلاقات مع أطراف عربية ذات وزن فعال ومؤثر فى اتجاهات الأحداث بالمنطقة.

وأدى اتساع نطاق حرية الحركة إلى مد جسور بين القيادة الفلسطينية وقوى وقيادات عربية وأوربية وأمريكية أيضًا، وفى ممارسة هذه السياسة احتفظت القيادة الفلسطينية بقدرتها على الحصول على قدر مناسب من المكاسب ودون أن تغلق الطريق نهائيًا أمام العلاقات الفلسطينية السورية، أى أن القيادة الفلسطينية راعت توظيف هذه الحركة فى إطار مناوراتها للضغط على القيادة السورية لفتح الباب أمام عودة العلاقات، وارتبطت هذه المناورة بضغوط سوفييتية وفرنسية خاصة وأوربية بوجه عام لعودة هذه العلاقات هذا بجانب الضغوط العربية التى لم تتوقف منذ الخروج الفلسطينى من طرابلس لبنان.

وأدى النجاح السورى فى زرع الفتنة بين الفلسطينيين إلى زيادة أهمية الدور السورى فى المنطقة ككل، وأيضًا إلى زيادة الدور السياسى السورى تجاه فلسطينيى سوريا وشرق لبنان.

وإذا كان الفلسطينيون قد عادوا إلى المائدة للحوار مع الأردنيين فإن وقت تحقيق نتائج إيجابية قد فات، فقد كان من الممكن الوصول إلى هذه النتائج فيما لو نجح الجانبان فى تنسيق جهودهما بعد الخروج من بيروت وبعد طرح الرئيس ريجان لمبادرته..

وإذا كان الوقت مناسبًا لتحقيق نجاح ملموس للحوار الأردنى الفلسطينى، فإن الضغوط السورية على الأردن قادرة على الحد من هذا النجاح.. وأن يجرى هذا الحوار فى عام الانتخابات الأمريكية فذلك عامل له وزنه على نتائج هذا الحوار.

وإذا كان هذا الحوار يجرى فى إطار التنسيق بين الأردنيين والفلسطينيين، فإنه أيضًا وبالضرورة يعكس خيارات كل منهما، وهنا يبدو الموقف صعبًا على الفهم، فالأردن قد حدد خياراته وإن لم يتوقف عن المناورة للالتفاف حول مقررات مؤتمر الرباط الذى رفع يد الأردن عن الضفة الغربية، وأناط المسئولية بمنظمة التحرير بصفتها الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى.

أما منظمة التحرير فلم تحسم خيارها بعد.

وإذا كان الغزو الإسرائيلى الشامل للبنان قد أدى إلى كسر البنية العسكرية لمنظمة التحرير، فإنه أيضًا أدى إلى إسقاط الخيارات العسكرية لصالح الأهداف السياسية، وإن كان هناك من القادة الفلسطينيين من يرى أن الخيار العسكرى لم يسقط بعد، فإن ذلك كان يتطلب وبالضرورة إعادة رسم الاستراتيجية من جديد واستمرار غياب مثل هذه الاستراتيجية يعنى استمرار المرحلة الانتقالية التى تمر بها منظمة التحرير، واستمرار المرحلة الانتقالية يعنى عدم وجود سياسات وأهداف محددة تسعى المنظمة بإمكاناتها الحالية والمستقبلية لتحقيقها، أى انتفاء الموقف الواضح المحدد المعالم.

والفرصة كانت متاحة أمام القيادة الفلسطينية لإعادة رسم استراتيجية منظمة التحرير خلال المؤتمر الوطنى السادس عشر الذى عقد بالجزائر فى فبراير عام ١٩٨٣، إلا أنها أفلتت من بين أيدى الجميع أمام الحرص على تحقيق أو الحفاظ على وحدة الصف، وأمام الهدف الإعلامى والإعلانى للمؤتمر الذى حرصت القيادة على توظيفه دعائيًا، دون أن تتنبه إلى حقيقة ما يدبر لها على أيدى السوريين والقوى التى تتربص للانشقاق. وكانت الفرصة المواتية لرسم الاستراتيجية الجديدة تحمل فى طياتها إحباط المؤامرات وتحجيم المتآمرين والأهم تحمل قوى محلية وإقليمية وعالمية قادرة

على دعم ومساندة الاستراتيجية الفلسطينية الجديدة لما تعنيه من حسم للاختيارات.

إلا أن المنظمة تركت الفرصة تمضى، ولم يكن هناك من استطاع أن يرتفع إلى مستوى الأحداث أو الموقف، فلقد جاء انعقاد الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطنى الفلسطينى بالجزائر فى فبراير ١٩٨٣ فى أعقاب الاجتياح الإسرائيلى للبنان فى إطار استعراض هائل للقوة العسكرية الإسرائيلية والصناعة الحربية فى ذلك المجتمع.

وصاحب هذا الاجتياح صمت هائل أيضًا على المستوى العربى والعالمى، وظل العالم العربى يعيش أيامه ويمضغ صراعاته، وكأنه لا يدرى أن بلدًا عربيًا يتعرض للغزو، وأن المقاومة الفلسطينية تواجه جحيمًا من النيران يستهدف تصفيتها، وكان الصمت السورى أبلغ أنواع الصمت، فقد تركت القوات المسلحة السورية الموجودة على الأرض اللبنانية، القوات المسلحة الإسرائيلية تمر من أمامها لتحقيق أهدافها، وكأن الأمر لا يعنيها.. وكانت ذروة المواقف صمت قادة الكرملين، حتى بعد أن دمرت القوات الجوية الإسرائيلية كتائب الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات، التى سبق للسوريين أن أقاموها فى وادى البقاع داخل الأراضى اللبنانية، وبعد أن لحقت بالقوات الجوية السورية هزيمة منكرة تمثلت فى إسقاط نيف وثمانين

طائرة مقاتلة فى قتال جوى لم يستغرق ثوان لم تتح خلاله الفرصة للطيارين السوريين لإدراك أنهم فى اشتباك جوى مع عدوهم.

أقول جاء المؤتمر الفلسطينى فى أعقاب هذه الأحداث الكبار، وفى أعقاب خروج قوات المقاومة الفلسطينية من لبنان، ومن بيروت بدون أسلحة ووفقًا لشروط إسرائيل، وبعد ضغوط أمريكية وأوربية ومصرية، وذلك بعد أن حققت إسرائيل أهدافها فى كسر البنية العسكرية للمنظمة الفلسطينية مثل هذه الأحداث التى مثلت متغيرًا رئيسيًّا ألم بواقع المنطقة وأعاد تشكيلها من جديد، كان يتطلب من المجلس الوطنى الفلسطينى فى دورته الجديدة، عملاً جادًّا وعميقًا لدراسة هذه المتغيرات، ورسم طريق للعمل الفلسطينى فى ظلها إلا أن هذا لم يحدث ووقع الجميع أسرى تقريظ الذات والإفراط فى توجيه المديح لأبطال الصمود والمقاتلين البواسل، وأغرق المتحدثون فى توجيه اللوم إلى الآخرين بدءًا من السوفييت مرورًا بالأمريكيين ولم يترك المتحدثون دولة عربية أو أجنبية لم يوجهوا لها اللوم إن لم نقل السباب..

وامتلأت محاضر جلسات المؤتمر بالكلمات الحارة والألفاظ الثورية، وأجاد المتحدثون الحديث فى كل القضايا إلا القضايا التى كان يجب أن يتصدوا لها..

وإذا كان المجلس الوطنى قد فاته أن يعيد رسم استراتيجية

منظمة التحرير، فى ظل المتغيرات الجديدة التى ألمت بالمنطقة وبالمنظمة، فقد فاته أيضًا أن يتعرض للقضايا الأخرى الأقل أهمية وإن لم تكن أقل خطورة، فقد تجاهل المؤتمر تقييم تجربة المقاومة الفلسطينية والوجود الفلسطينى فى لبنان، واكتفى الجميع بالإشادة بالصمود والبطولة، ومضت التجربة الفلسطينية فى لبنان بدون دراسة جادة للاستفادة من الدرس مثلما مضت تجربة الأردن عام ١٩٧٠.

ولم يشأ أحد أن يتعرض بالنقد او التقييم الجاد لحقيقة علاقات وارتباطات المنظمة بالقوى المختلفة عربيًّا ودوليًّا، ومدى جدوى وفعالية هذه العلاقات والارتباطات لصالح القضية الفلسطينية..

ومثلما مرت دورات المجلس الوطنى الفلسطينى السابقة دون تعرض لتجربة العمل الجبهوى الفلسطينى، مرت الدورة السادسة عشرة، برغم أنه كان من الضرورى مناقشة وضع التنظيمات الفلسطينية داخل منظمة التحرير، لوضع حقائق وطبيعة العلاقات داخل المنظمة أمام الشعب الفلسطينى بصفة خاصة، والرأى العام العربى بوجه عام، لتتاح الفرصة أمام الجميع لفهم أسباب احتفاظ كل من هذه المنظمات حتى الآن، وبعد أكثر من خمسة عشر عاما من الكفاح المشترك بجيشها الخاص ومؤسساتها الخاصة، ناهيك عن شعاراتها وأعلامها وكوادرها وممثليها والمتحدثين باسمها و ... و ...

وإذا كان المؤتمر الوطنى قد انتهى إلى إعلان بيان ختامى، فإن

البيان لم يختلف كثيرًا عن البيانات التى صدرت فى نهاية مؤتمرات سابقة، كلمات كبيرة يمكن قراءتها وتفسيرها كل وفق عقيدته ومصالحه وأهدافه..

وتحقق لأبو عمار الحفاظ على الوحدة الوطنية خلال المؤتمر أو هكذا تصور.. وغاب عنه وعن الآخرين أن هذه الوحدة التى عملوا من أجلها ليست سوى سراب، سوف تكشف عنه أحداث الانشقاق وحصار طرابلس التى رفع عنها الستار بعد أسابيع من إنهاء المؤتمر لأعماله..

واختتم المؤتمر أعماله دون أن يضع إجابة لسؤال هو: ماذا تريد المنظمة الآن وبعد كل ما حدث؟

وما هو هدف العمل الفلسطينى بعد ١٨ عامًا من عمر منظمة التحرير؟

أما زال الهدف هو تحرير كامل للتراب الفلسطينى؟ وكيف؟

وهل أصبح الهدف هو الوصول إلى السلام؟ وما هو الطريق؟

أم أن القضية ما زالت موضع دراسة ولم ينته المجلس منها بعد؟

واختصارًا فقد انتهت أعمال المؤتمر دون أن يضع إجابات جديدة للأسئلة الجديدة المطروحة على الساحة. وفقدت القيادة الفلسطينية قدرتها على المبادرة، وأضاعت فرصة مواتية لرسم استراتيجية جديدة.

وطالما ظلت الاستراتيجية السياسية لمنظمة التحرير غير مرسومة ستبقى السياسة الفلسطينية متأرجحة وضعيفة وعرضة للضغوط من كل جانب، وتظل السياسات الفلسطينية متأرجحة وضعيفة وعرضة للضغوط من كل جانب، وتأرجح السياسات الفلسطينية يعنى الخلط بين الكفاح المسلح والسياسات السلمية، ويعنى عدم وضوح إطارات العلاقة مع الاتحاد السوفييتى والعلاقة مع الولايات المتحدة، وأيضا غياب معادلة صحيحة لعلاقات مع القوى العربية سواء أكانت متشددة أو معتدلة.

ويمكن القول أن منظمة التحرير بعد الخروج من بيروت كنتيجة للهجوم الإسرائيلى فى صيف ١٩٨٢ وجدت نفسها أمام خيارات موجعة فاضطرت إلى تأجيل الخيار أملاً فى تغير الظروف نحو الأفضل، وسعيًا لكسب الوقت وإتاحة الفرصة أمام قيادة المنظمة للتحرك بما يكفل فرصًا أو فرصة أفضل تجعل حجم الخسائر أقل.. إلا أن هذه المناورة باءت بفشل كبير لاصطدامها بالأهداف والمصالح السورية، مما أدى فى النهاية إلى تردى الموقف الفلسطينى بصورة شاملة عقب الانشقاق الفلسطينى والخروج من طرابلس لبنان..

ومرة أخرى نجد منظمة التحرير - وأعنى هذه المرة قائد منظمة التحرير - فى مواجهة خيارات أكثر إيلامًا مما كان مطروحًا ومتاحًا

عقب الخروج من بيروت، إلا أن أحدًا لم يستوعب الدرس، وما زال الزعيم الفلسطينى يناور لتأجيل الخيار أملًا فى تغير الظروف نحو الأفضل، وسعيًا لكسب الوقت وإتاحة الفرصة أمامه للتحرك للوصول إلى فرص أو فرصة أفضل تقلل من حجم الخسائر التى ستترتب على حسم الخيارات الفلسطينية.

ويبدو أن الزعيم الفلسطينى يسعى فى مشاوراته التى يجريها خلال هذه المرحلة للتعرف على إطار للاستراتيجية الفلسطينية الجديدة، أى استراتيجية منظمة التحرير، وإذا كان عام ١٩٨٢ هو عام الغزو الإسرائيلى للبنان، وعام١٩٨٣ هو عام الخروج من طرابلس، فإن عام ١٩٨٤ هو عام المشاورات الفلسطينية - الفلسطينية والفلسطينية - العربية، والفلسطينية - العالمية، وتدرك القيادة الفلسطينية أن أية اختيارات لن تعتمد على رغبات الفلسطينيين وطموحاتهم، بل ستعتمد على مايمكن أن تسمح به ظروف الواقع الجديد بعد كل المتغيرات الرئيسية التى شملته، وعلى ما تسمح به الدول العربية وإسرائيل والقوى صاحبة النفوذ والمصالح فى المنطقة.

أما أبو عمار، فإنه على المدى القصير قد بنى حركته لإتمام مشاوراته على الحصول على تأييد القطاع الأكبر من المؤسسات الفلسطينية القائمة، سواء بين أعضاء القيادة المركزية أو اللجنة التنفيذية أو المجلس الوطنى، وعلى تأييد فلسطينيى الداخل الذين

أصبح لهم وزن ودور أكبر على مسرح الحركة السياسية الفلسطينية. وفى نفس الوقت لم ينس أبوعمار ثقل مصر التى خاطر بزيارتها بقرار منفرد ليوازن بها ثقل النفوذ السورى، مستهدفًا تحجيم الأطماع السورية ورغبتها فى السيطرة على القرار الفلسطينى، أما الدعم العربى فقد استند إليه أبو عمار، سواء فى ذلك الدعم المالى أو السياسى لتقوية مركزه فى حركته بين القوى الفلسطينية لعزل المنشقين وإضعاف نفوذهم، وكسب القوى التى ناهضت زعامته والقوى التى خرجت على الإجماع الفلسطينى ممثلا فى منظمة التحرير.

ويمضى أبو عمار خلال حركته على المدى القصير للعمل على بناء جسر بين مبادرة ريجان ومقررات مؤتمر فاس، لزيادة رقعة الأرض أمام الخيار الفلسطينى.

ومثل هذا الجسر يواجه صعوبات، أهمها الاعتراضات الأمريكية والإسرائيلية، ثم الاعتراضات السورية التى ترفض مبادرة ريجان ولا توافق خلال هذه المرحلة، إلا على فكرة المؤتمر الدولى التى نادى بها السوفييت. وقد أثبت السوريون خلال السنوات التى أعقبت توقيع اتفاقية كامب ديفيد قدرتهم على معارضة الحلول التى لا تحقق مصالحهم والتى لا تتناسب مع أهدافهم.

وما زال عرفات حريصًا رغم كل ماحدث على عدم حرق كل

الجسور، مع سوريا أو ليبيا تحسبًا للمستقبل، وخشية رد الفعل السورى، وما زال عرفات وهو يتحرك يراعى حدود الحركة حتى لا يدخل فى صراعات مع الأنظمة العربية التى لا يعلم إلا الله الدوافع الحقيقية لسياساتها وأهدافها، بعد أن اختلطت كل الأوراق ولم يعد أحد يدرى من يساعد من ضد من، ومن يقف مع من خلف من..

ويدرك ياسر عرفات جيدًا أن فترة المشاورات لوضع إطار استراتيجية جديدة لمنظمة التحرير لا يمكن أن تستمر بلا نهاية.. وإن استمرار تأرجح السياسة الفلسطينية لا يخدم القضية الفلسطينية، ولكنه يدرك أيضًا أن أى اختيار يعنى المضى فى أى مشروع، يدعم من الأردن سيواجه برد فعل سورى عنيف، لأنه يعنى فى النهاية خسارة سوريا لكل ما راهنت عليه وعملت من أجله، وسيواجه أيضًا بمعارضة عدد من الدول العربية وبتفسخات جديدة فى بنية منظمة التحرير..

والطريق مع هذا ليس مغلقًا أمام احتمالات نجاح تحركات أبو عمار ومشاوراته.

وإذا كان الزعيم الفلسطينى يسعى لإعادة تنظيم البيت الفلسطينى، فإن فلسطينيى الداخل قد تحولوا ليصبحوا قوة رئيسية من قوى العمل الفلسطينى، بل يمكن القول أنهم فى طريقهم

ليصبحوا القوة الرئيسية للعمل الفلسطينى، إن لم يكونوا قد أصبحوها بالفعل الآن.

ومنذ عام ١٩٥٠ وحركة التحرير الفلسطينية تقوم على أكتاف فلسطينيى الخارج المتطلعين للعودة إلى وطنهم، إلا أنه ابتداء من عام ١٩٧٠ أى بعد هزيمة يونيه بثلاث سنوات وبعد انطلاق شرارة الكفاح المسلح التى أطلقتها منظمة فتح بخمس سنوات، نشأت حركات موازية لحركة التحرير الوطنى الفلسطينى فى الخارج بين صفوف الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة، رغم وجودهم تحت الحكم العسكرى الإسرائيلى. وأدرك الفلسطينيون بالأرض المحتلة أن حركتهم محكومة بقوة المحتل، ونشاطهم مقيد بقانونه، إلا أن الهامش الذى تسمح به إسرائيل كان كافيًا لبروز هذه الحركات وزيادة فاعليتها باستمرار.

وإذا كانت منظمة فتح ومن بعدها منظمة التحرير، بعد أن تسلمت فتح زمامها قد تحولت إلى وعاء كبير يستوعب حركة الفلسطينيين بالداخل، خاصة وإسرائيل لم تتوقف منذ يونية عام ١٩٦٧ عن اضطهاد قيادات الحركة الوطنية الفلسطينية داخل الأرض المحتلة فإن الأمر لم يعد كذلك الآن.. فلم تعد قيادات المنفى أو قيادات الخارج هى العنصر الفعال فى صياغة سياسات ومواقف قيادات الداخل.. وتعلم قيادات الداخل أن لحكومات الدول العربية

الحق فى الحفاظ على مصالحها بالدرجة الأولى، ولكنها ترى فى خضوع قيادات الخارج لمنطق هذه المصالح نقطة ضعف تلحق الضرر بالقضية الفلسطينية، وتعوق الحركة الوطنية الفلسطينية عن تحقيق أهدافها.

ولقد استطاع فلسطينيو الداخل الحفاظ على حياة ياسر عرفات خلال حصار طرابلس، ونتيجة لموقفهم المؤيد لزعامة منظمة التحرير ومنظمة فتح، لم يتمكن المنشقون من المضى بعيدًا فى مخططهم، مثل هذا النجاح ومثل هذا التأثير لن يظل أسيرًا لزعامات الخارج أيًا كانت درجة قوتها.

ويبدو أن شلل القيادة الفلسطينية فى إعادة رسم استراتيجية جديدة لمنظمة التحرير بعد الخروج من بيروت، وسقوط الخيار العسكرى لحساب الخيار السياسى، أو بعد الخروج من طرابلس وفهم طبيعة وأبعاد المؤامرة التى تستهدف العمل الفلسطينى، ومحاولة تأميمه لصالح دولة عربية واحدة أساساً، قد فتح الباب أمام قيادات الداخل للبروز فى ساحة العمل الفلسطينى، وممارسة الضغوط على قيادة المنظمة لاتخاذ خطوات محددة، ومثل نجاح هذه الضغوط خطوة جديدة على طريق زعامات الداخل.

وتشير الدلائل إلى أن فشل الزعامة الفلسطينية الحالية ممثلة فى أبو عمار فى إعادة رسم الاستراتيجية الفلسطينية وحسن الخيار

الفلسطينى، سيؤدى إلى زيادة حجم وقوة ونفوذ القيادات الفلسطينية بالداخل، وتشير إلى أن استمرار التفتت الذى ألم بمنظمة التحرير سيفتح الباب أمام هذه القيادات لتعلب دورًا أكبر، ليس ذلك فقط فإن هذه المؤشرات توضح أن قيادة العمل الفلسطينى مستقبلاً لن تخرج من بين صفوف الفلسطينيين بالخارج، بل من بين قيادات العمل الفلسطينى داخل الأرض المحتلة.

أبو عمار يتحدث:

* ثلاثة متطلبات لإعادة التوازن إلى المنطقة العربية.

* الدروس المستفادة من أحداث لبنان كشفت الأقنعة.

الحوار الأول

منذ شقت الثورة الفلسطينية طريقها الصعب عام ١٩٦٥ وحتى الآن لم أحاول الاقتراب من زعيمها ياسر عرفات من أجل عمل صحفى، كما أن الرجل سواء كان على رأس منظمة فتح أو منظمة التحرير لم يكن فى حاجة لمثل هذه المحاولة، وإن كان هذا لا يعنى أننا لم نلتق وإن ظلت هذه اللقاءات بعيدة عن أن تجمعنا فى عمل صحفى.

واصلت الثورة الفلسطينية مسيرتها برغم كل المحن والآلام والمشاق والنكسات والهزائم واختلاف الاجتهادات، وكان استمرار

الثورة فى حد ذاته نجاحًا يحسب لشخصية الرجل قبل أن يحسب لباقى العوامل مع اعترافى وإدراكى لأهميتها البالغة، وفى نفس الوقت واصلت أنا مسيرتى دارسًا ومتابعًا للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية التى أعددت عنها رسالتى للماجستير ولإسرائيل وللثورة الفلسطينية، وذلك فى إطار عملى وبعد مرور ما يقرب من عشرين عامًا على بدء الثورة الفلسطينية شاءت إرادة الله أن ألتقى والزعيم الفلسطينى فى حوار صحفى.

وكانت البداية مساء يوم الثلاثاء ٢٤ أبريل ١٩٨٤ عندما تلقيت رسالة من الأستاذ صبرى أبو المجد رئيس التحرير يبلغنى فيها أنه رشحنى للسفر إلى تونس نيابة عنه للقاء أبو عمار، وإننى يجب أن أستعد للسفر ظهر يوم الخميس ٢٦ أبريل، ورغم ضيق الوقت لإنهاء إجراءات السفر بسبب عطلة ذكرى تحرير سيناء يوم الأربعاء ٢٥أبريل، فإننى لم أمانع، واتصلت بالأستاذ سعيد كمال ممثل منظمة التحرير فى القاهرة لمتابعة الإجراءات، وصباح يوم الأربعاء ٢٥ أبريل أخبرنى سعيد كمال بأن الرحلة تأجلت إلى يوم الأحد ٢٩ أبريل.

وفى مطار القاهرة التقيت بباقى أعضاء الوفد الإعلامى المصرى: الأستاذة زينب الحكيم وحلمى البلك وعبد العظيم الضرير وثلاثة من الفنيين من التليفزيون ونجوى أبو النجا من

إذاعة صوت العرب وسكينة فؤاد من مجلة الإذاعة وإحسان بكر من الأهرام وعزيز عزمى مستشار وزير الدولة للإعلام وسعيد كمال عضو المجلس الوطنى الفلسطينى.

وفى مطار قرطاج بتونس أخبرنا المسئولون الفلسطينيون أن أبو عمار سيصل من بغداد بعدنا بنصف ساعة، وعندما وصل توجه من المطار إلى مقر إقامته بالمرسى على مسافة ٢٠ كيلو مترا من تونس العاصمة حيث استقبل وفدًا من الأمريكيين الفلسطينيين وتوالت المقابلات والاجتماعات، وظللنا بالفندق نتابع أخبار أبو عمار، وتحمل سعيد كمال مسئولية الاتصالات بالقائد الفلسطينى وكان يتصل به كل ساعة تقريباً حتى ظهر اليوم التالى الاثنين ٣٠ أبريل، حيث أخبرنا أن أبو عمار يدعونا لعشاء مساء نفس اليوم وعندما وصلنا إلى حيث يقيم أبو عمار كانت الساعة تقترب من العاشرة، المنزل يطل على البحر وتحيط به حديقة ولم يستطع الميكروباس الذى أقلنا أن يقترب من مدخل المنزل لامتلاء الفناء والطريق بالسيارات.

وعلى الباب كانت الحراسة غير كثيفة.. ثلاثة أفراد بالخارج وضعفهم تقريبًا بالداخل.. والجميع مسلحون بالرشاشات وإن لم يرتدوا زيًّا عسكريًّا فيما عدا الحارس التونسى.. وفى نفس الوقت الذى وصلنا فيه كان أبو عمار يصحب وفدًا إلى الباب لتوديعه بعد

انتهاء الاجتماع تمهيدًا لاستقبالنا.. ودلفنا إلى داخل المنزل من باب آخر وبعد قليل دخل أبو عمار يرحب بنا بطريقة ودودة، وبرغم أنه لم ينم منذ وصل إلى تونس إلا ساعات محدودة بدا لنا متدفق الحيوية.. وتركنا له اختيار الأسلوب المناسب لتنظيم وقته بيننا جميعا كإذاعة وتليفزيون وصحافة وكأفراد أيضًا، فاقترح أن يبدأ بالصحافة، على أن يكون الغد للإذاعة والتليفزيون، وعندما علم أن أجهزة التليفزيون لم تخرج بعد من مطار تونس وأن الغد عطلة أول مايو قال: ليس هناك مشكلة وطلب من الحكم بلعاوى ممثل المنظمة فى تونس أن يبحث الأمر، وفورًا أجرى اتصالاً وطمأن بعثة التليفزيون بأن الأجهزة ستكون موجودة - برغم العطلة..

وبجانب الحكم بلعاوى حضر اللقاء من القيادات الفلسطينية هانى الحسن مستشار القائد الفلسطينى، وهايل عبد الحميد عضو اللجنة المركزية، وأبو طارق ممثل المنظمة بليبيا، بعد أن طردته ليبيا للمرة الثانية، بالإضافة إلى سعيد كمال...

وطلبت من أبو عمار أن أعود إلى الفندق لأحضر جهاز تسجيل طالما قرر أن يبدأ الليلة بالحديث معنا. إلا أنه قال إن الأجهزة موجودة والأشرطة متوفرة أيضًا وفورًا أحضر أبو فارس مرافقه الإعلامى جهازى تسجيل وثلاثة أشرطة وبدأ الحوار الذى استمر على مائدة العشاء ، لم يتوقف التسجيل إلا فى الثانية صباحًا.. وطالما

كان الوفد الإعلامى حاضرًا، فقد امتدت مظلة الحوار لتظل الجميع.. وتحول الحديث إلى شيء أقرب إلى المؤتمر الصحفى، وإن لم يكن مؤتمرًا صحفيا.

عن مصر

واختار أبو عمار أن يتحدث عن مصر، فأعلن أن مصر ستعود إلى العالم العربى من الباب الفلسطينى، وأنه لا يقول ذلك لأنه يتحدث إلينا.. أبدًا، هذا اقتناعه، وتعبير عن إدراكه لدور مصر الهام والقيادى فى العالم العربى، وقد سبق أن أعلن ذلك تقريبًا فى الكويت، ومضى قائلا إن ما يحدث الآن فى المنطقة العربية لا يمكن معالجته على الصعيد المحلى أو القطرى أو الإقليمى، لابد من أن يعالج على المستوى القومى، هذه المعالجة تتطلب إعادة التوازن إلى المنطقة العربية..

الكاتب: وكيف يعود التوازن إلى المنطقة التى ضاع منها الطريق، ولم يعد لها من طريق سوى طريق الصراعات الجانبية والحسابات قصيرة النظر؟

أبو عمار: هناك ثلاثة متطلبات:

الأول: عودة مصر إلى احتلال دورها القيادى التى غُيبت أو تغيب عنه، وبأسلوب شاعرى قال: إن الفرس بعد غيبة

الفارس قد جمح ولم يستطع أى فارس أن يمتطيه، برغم أن قيادات كثيرة قد حاولت سواء من جيرانكم أو من جيراننا وما زال الفرس ينتظر فارسه.

الثانى: إيقاف الحرب العراقية الإيرانية.

وقبل أن يذكر البند الثالث علق قائلاً: إنه يلتقى والرئيس مبارك حول هذين المطلبين.

الثالث: إنهاء المشاكل فى شمال أفريقيا ليتمكن المغرب العربى من أداء دوره فى منطقتنا - يقصد منطقة المشرق العربى التى تعرضت للوباء سياسيًّا بعد أن فتكت بها الطائفية، وبصورة أخرى التى بدأت تعيش عصر البلقنة.

والمغرب العربى يمكن أن يشكل الرافعة التى تصحح الأوضاع فى منطقتنا.

كامب ديفيد اختيار مصرى عقلانى:

الكاتب: فلنمض معًا خطوة أخرى إلى الأمام يا أخ أبو عمار، فمصر ما زالت مرتبطة باتفاقية كامب ديفيد، وأعتقد أن اختيار طريق كامب ديفيد كان اختيارًا عقلانيًّا، فهل حديثكم عن عودة الفارس وإعادة مصر إلى العالم العربى من الباب الفلسطينى يعنى أنكم ستتجاوزون هذه النقطة؟.

أبو عمار: هذا سؤال دقيق.

- وتوقف قليلاً قبل أن يواصل الإجابة، وبعد أن نظر إلى الجميع الذين شملهم الصمت فجأة قال:

لقد قلنا فى المجلس الوطنى الفلسطينى إننا سنقترب من مصر بقدر ابتعادها عن سياسة كامب ديفيد.

مباشر: زدنى إيضاحًا.

أبو عمار: عندما قبلت مصر بقرار من الرئيس مبارك بعد اجتماع مجلس الأمن القومى بالمشاركة فى حماية القوات الفلسطينية الخارجة من طرابلس (لبنان) إننى أعتبر ذلك ابتعادًا عن سياسة كامب ديفيد، وقد اعتبر العدو هذا العمل خرقًا لاتفاقية كامب ديفيد.

وأعتبر زيارتى أنا لمصر خرقًا لكامب ديفيد.

وما قاله الرئيس حسنى مبارك فى البيت الأبيض الأمريكى وفى نفس المكان الذى وقع فيه الرئيس السادات اتفاقية كامب ديفيد، ابتعاد عن سياسة كامب ديفيد، فإعلان الرئيس مبارك أن منظمة التحرير الفلسطينية ممثل شرعى ووحيد للشعب الفلسطينى يمثل ابتعادًا عن سياسة كامب ديفيد، ومن الوقائع الأخرى:

* قطع العلاقات مع السلفادور وكوستاريكا.

* الوفد الذى جاءنا ونحن تحت الحصار سواء فى بيروت أو طرابلس والذى يمثل مصر كلها بكل أحزابها.

(أبو عمار يعتبر أعضاء وفدى المعارضة الذين سافروا إلى لبنان ممثلين لمصر كلها).

* الوفد المصرى الذى شاركنا فى مؤتمرنا خلال العام الماضى.

* ربة المنزل التى ترفض شراء البيض والموز الإسرائيلى.

وأضاف إحسان بكر إلى هذه الوقائع عزلة السفير الإسرائيلى فى القاهرة.

وأضاف أبو عمار أن مجموع الانتصارات الصغيرة تشكل انتصارًا كبيرًا مثلما قال الجنرال جياب.

(جياب قائد الانتصار على الفرنسيين والأمريكيين فى فيتنام وقد تخلصت منه حكومة فيتنام بعد ذلك).

الكاتب: ما هو تعليق أبو عمار على إلغاء الحكومة اللبنانية لاتفاقية ١٧ مايو (أيار) المعقودة مع إسرائيل؟

أبو عمار: أنا أبارك قرار إلغاء الاتفاقية، ولكن من حقى ومن حق الجماهير العربية أن تسأل ما معنى إلغاء الاتفاقية والسفارة الإسرائيلية ما زالت فى بعبدا فى بيروت؟

ما معنى إلغاء الاتفاقية والجبهة اللبنانية تفتح مكتبًا لها فى

القدس، وذلك فى نفس الوقت الذى انعقد فيه مؤتمر المصالحة اللبنانية فى لوزان بسويسرا؟

ما معنى الإلغاء؟ هل هو تمزيق ورقة أم تمزيق واقع.

أنا أريد تمزيق واقع.

اتهامات الثورة الفلسطينية لمصر والمصريين:

الكاتب: مرت العلاقات المصرية الفلسطينية بفترات صعود، وهناك فترات أخرى لم يكن الخط البيانى فيها متصاعدًا، خلال هذه الفترات ووجه الشعب المصرى وقيادته بمجموعة من الاتهامات الفلسطينية بدأت باتهام عبد الناصر بالترهل بسبب قبول مبادرة روجرز، وانتهت بالهجوم على مبادرة السلام واتفاقيتى كامب ديفيد واتهام مصر بالخيانة مرورًا باغتيال الشهيد يوسف السباعى، والشعب المصرى الذى تعيش القضية الفلسطينية فى وجدانه آلمته وتؤلمه مثل هذه الاتهامات، والسؤال لم الآلام؟ ولماذا تكون الثورة الفلسطينية سببًا لها؟ لماذا لا تكون العقلانية والحوار هما العنصران السائدان فى العلاقات ما بين الشعب الذى قدم أكبر قدر من التضحيات سواء البشرية أو المادية، وهو الشعب الذى وصفته بأنه شعب سبعة الآلاف سنة حضارة وبين الثورة الفلسطينية التى يعتبرها الشعب المصرى واحدة من أنبل الثورات.

أبو عمار: (بعد لحظة صمت) ليس هناك طريق آلام بين الشعب المصرى والثورة الفلسطينية (وعاد أبو عمار للصمت من جديد وبقى الجميع صامتين مرة أخرى برغم اشتباكهم جميعًا فى الحوار منذ لحظات) - وواصل أبو عمار حديثه: أنا لا أعترف بمقولة وضعها الاستعمار، وأعنى ما قاله سايكس بيكو عن تقسيم المنطقة إلى الشعب الفلسطينى والشعب المصرى والشعب السورى والشعب الأردنى والشعب اللبنانى.

وعلينا أن نعرف أن هذا جزء أساسى من المؤامرة التى تشكلت وأصبحت حربًا ضروسًا بين حضارتين استخدمت فيها كل الوسائل لإبعاد مصر عن موقعها القيادى والطبيعى فى جسم الأمة العربية..

شىء آخر.. أنت ذكرت بعض المقولات، ونحن فى الثورة الفلسطينية لانوافق عليها، ونعتبر أنفسنا معنيين مثلما الشعب المصرى معنى، فما حدث من مظاهرات قادها بعض الموتورين أثناء احتجاجنا على روجز كنا نحن أول المعترضين عليها، واعتبرناها مخططة لوضع الأسفين بيننا وبين الرئيس عبد الناصر تمهيدًا لضربنا فيما بعد بدون أن يتحرك عبد الناصر لحمايتنا.

ويذكر الجميع أننى جئت بنفسى إلى القاهرة وقابلت

الرئيس الراحل عبد الناصر مع إخوانى لكى نمسح ما حاولت المجموعة الموتورة أن تفعله.

وبالنسبة لكامب ديفيد فإن شأننا شأن أى مجموعة مصرية اعترضنا على كامب ديفيد. ومن حقنا نحن الفلسطينيين إذا كنا نقول إن مصر تدافع عن حدودها الطبيعية فى فلسطين فإن لنا حقًا مساويًا لحق الفرد المصرى فى الاعتراض على أية سياسة يمكن أن تحدث، خاصة وأن هذه السياسة قد مستنا نحن كقضية وشعب دون أن نستشار فيها.

أما بالنسبة لمقتل يوسف السباعى، فالذين قتلوه هم الذين قتلوا سعيد حمامى والهمشرى وعز الدين القلق وعصام السرطاوى - المجموعة المشبوهة ذاتها.

ولقد دفعنا نحن الثمن أضعافاً مضاعفة منها.

الحوار العقلانى

الكاتب: من حق أبو عمار ومن حق الثورة الفلسطينية أن تعترض على كامب ديفيد فهناك قطاع من الشعب المصرى (ويتدخل أبو عمار قائلاً قطاع كبير) قطاع كبير، قطاع صغير... أعنى أن هناك فى مصر من يعترض على كامب ديفيد، ولكن فى ممارستكم لهذا الحق لماذا لا يسود الحوار العقلانى؟.

ويتدخل إحسان بكر قائلاً... دعنا نكون منصفين إذا نظرنا إلى الجانب الآخر، الجانب المصرى، فهناك بعض الكتاب المصريين والصحفيين المصريين للأسف الشديد كتاباتهم شيء لا يطاق، هذه الأقلام طلعت وقالت جورجينا رزق وغيرها.

أبو عمار: هل رأيت الكاريكاتير الذى ينشر عنى؟ هل تعرف كيف أعيش؟

أنا أعيش فى سرير صغير بجوار مكتبى هناك فى مقر قيادتى...

ثم من الذى قطع الحوار.. أنا أم الرئيس السادات؟

ثم... أنا اتعمل لى كمين فى مجلس الشعب.

وأريد أن أقول إننى أعرف السادات قبل أن يتزوج جيهان... أعرفه قبل ثورة ٢٣ يوليو... وكنت أعرف وقتذاك أربعة من قادة الثورة هم خالد محيى الدين وأنور السادات وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر...

علاقتى بالسادات لا يزايد عليها أحد...

ونعود إلى من قطع الحوار.

لقد اتفقنا عام ١٩٧٧ أن نذهب إلى جنيف أردنيين وسوريين ومصريين وفلسطينيين، ولقد وافقت على وفد عربى عندما

اعترضوا على تمثيل منظمة التحرير، وكنت أعلم أن ذلك تضييع لهويتنا ولكننى وافقت حتى لا نوقف مسيرة المفاوضات، وهذه الصيغة كنت قد قدمتها خلال الحوار العربى الأوروبى... واتفقنا على Lowlevl Representation لمنظمة التحرير بعد أن جرى الاعتراض على قيادات منظمة التحرير...

بعد كل هذا ذهب وحده إلى القدس.

ومن ساعتها والثورة الفلسطينية تواجه نكبات.

الدروس المستفادة من أحداث لبنان

الكاتب: وأنت تطل على أحداث بيروت الآن كيف تراها؟

وبعد أن مضى عام ١٩٨٢ ومر عام ١٩٨٣ بكل ما بهما من مرارة ما هى الدروس المستفادة التى خرج بها أبو عمار أو خرجت بها الثورة الفلسطينية؟

أبو عمار: المسرحية لم تنته بعد، والمؤامرة أمريكية إسرائيلية وافقت عليها بعض الأطراف العربية، فى ٥ ديسمبر عام ١٩٧٤ قابلت الرئيس اليوجسلافى تيتو، خلال المقابلة قال لى: احذر، أنتم مقبلون على أحداث صعبة، فقد كان عندى هنرى كيسنجر منذ

ثلاثة أيام وأخبرني أن قرارات مؤتمر القمة العربي في الرباط والاعتراف بمنظمة التحرير ممثل شرعي للشعب الفلسطيني والمطالبة بدولة مستقلة للفلسطينيين قد أربكت حساباته... وقال تيتو إن المنطقة مقبلة على البلقنة.

وقلت هذا الكلام لكل الزعماء العرب. ولم يصدق أحد. وبعد شهرين أي في فبراير ١٩٧٥ جرى اغتيال الزعيم اللبناني معروف سعد وكرت المسبحة في لبنان.

الكاتب: معروف سعد إذن كان البداية وليس حادث عين الرمانة الذي تم في إبريل عام ١٩٧٥.

أبو عمار: بداية الأحداث اغتيال معروف سعد، بعدها حادث عين الرمانة، وللوصول إلى بلقنة المنطقة وفقاً للمخطط فلابد من ضرب الثورة الفلسطينية، ومخطط البلقنة مرتبط بخطة التقسيم الطائفي الذي أعطى عبد الناصر وثائقه للصحفي الهندي كارانجيا عندما عثر عليها داخل الطائرة الإسرائيلية التي سقطت في سيناء واعتماداً على هذه الوثائق كتب كارانجيا كتاب خنجر إسرائيل.

وبمرارة واصل أبو عمار حديثه قائلاً: وعندما قلت هذا الكلام عام ٧٤، ٧٥ لم يصدقنا أحد، لم يصدقني إخواني للأسف.

وبعد مؤتمر فاس الأول بعد التأجيل رأيت الدم... عدت إلى لبنان وأصدرت أمراً بالتعبئة الشاملة بما فى ذلك أطفالنا فى المدارس الإعدادية، وعندما قال لى الإخوان لماذا هؤلاء التلاميذ؟

قلت: سيأتى اليوم الذى يحتاجون فيه للدفاع عن أنفسهم. وقلت: سندخل نفقاً مظلماً وإن الإسرائيليين سيصلون إلى بيروت.

فى ١٦ مارس ١٩٨٢ ألقيت خطاباً فى ذكرى جنبلاط فى عالية قلت فيه سأنتظر شارون هنا وسأقاتله. وبعد انتهاء خطابى قال لى إخوانى أعضاء الحركة الوطنية إنك أحبطت معنوياتنا، هل من المعقول أن يصل شارون إلى هنا؟

قلت لهم إن شارون يقول إنه سيحتل الدامور، والذى يريد أن يحتل هذه القرية لابد له من احتلال الجبال المطلة عليها لتأمينها، وذلك يعنى أنه سيحتل الجبل عسكريا، ١ + ١ = ٢، وهذا هو المنطلق العسكرى.

وسألنى: أليس ذلك صحيحاً بصفتك خبيراً عسكرياً؟ وواصل قائلاً... ولم يصدق الكثيرون ذلك.

هذا الكلام قلته للمسئولين فى الهند وباكستان وقلت لهم فى الدولتين ربما نكون أقل الجيوش العربية عدداً وعدة، ولكننا

مقبلون على معركة، وأعدكم أن نقاتل بشجاعة، وأن نقاتل حتى الشهادة.

الكاتب: برغم أن المؤامرة قد تكشفت لكم، وبرغم أن الرواية لم تتم فصولاً، فإن لكل مرحلة دروساً مستفادة وفعالة يمكن للقائد أن يصحح خطواته أو يؤكد صواب نظرته، وبعد الخروج من بيروت، وبعد الخروج من طرابلس، ما هى الدروس المستفادة سواء على مستوى الثورة الفلسطينية، أو على مستوى الوضع فى لبنان، أو على مستوى العلاقات مع كل أطراف الصراع: سوريا والأردن. مصر. إسرائيل. الولايات المتحدة. الاتحاد السوفيتى... و...

ضعف الجيش الإسرائيلى

أبو عمار: تتكلم عسكريًّا... أنت تعرف أنه ما فى معركة خاضتها إسرائيل مع العرب إلا وخاضتها على أكثر من جبهة فيما عدا هذه المعركة، فقد تعاملت لأول مرة مع جبهة واحدة، ومع هذا، فلم أر هذا الجيش ضعيفاً مثلما رأيته خلال حصار بيروت، هذا الجيش أسطورة أكثر منه حقيقة، وقد قال زئيف شيف نفس الشىء، وهو أشهر كاتب عسكرى إسرائيلى فى مقال بعنوان: PALESTINIAN SURPRISE نشره فى مجلة ARMED FORCES JOURNAL.

وكان حديث زئيف شيف عن معركة عين الحلوة بصيدا لا عن بيروت، فى هذه المعركة خسرنا ١٢ ألف شخص، أما المعسكر نفسه فقد مسحه العدو عن الأرض، وأعلى حجر فيه ارتفاعه لا يزيد على ٣٠ سم بعد المعركة.

ويواصل أبو عمار: وبالتجربة ثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن نظريتنا عن حرب الشعب هى أنجح الحروب لمواجهة هذا العدو الذى يتحصن دائماً خلف دولة عظمى.

فهذا الجيش لم يستطع دخول بيروت إلا بعد أن خرجنا منها

الكاتب: أخشى أن نتأرجح فى تقييمنا للعدو بين التهويل والتهوين، المطلوب تقييم موضوعى للجيش الإسرائيلى.

أبو عمار: من الواضح أن هذا الجيش لا يصطدم بصخرة، أى أنه لا يواجه نقطة مقاومة، يرسل طائراته ويصب عليها نيران مدفعيته للقضاء على الصخرة تمهيداً لمواصلة التقدم.

الكاتب: ليس من ضمن أساليب الجيش الإسرائيلى فى القتال خوض معارك تصادمية دون مبرر تلحق به خسائر جسيمة خاصة فى الأرواح.

أبو عمار: لقد تأكد لنا أنه جيش ضعيف خلال معارك عام ١٩٨٢

(ويواصل أبو عمار حديثه منتقلاً إلى نقطة أخرى خاصة بأطراف معارك طرابلس).

ومن أهم نتائج معركة طرابلس أننا دفعنا المحتلين إلى كشف الأقنعة.

العدو فى مأزق:

ويعود أبو عمار لتقييم معارك لبنان قائلاً: ولدينا الشجاعة الكافية لنعترف بأن العدو قد نجح فى تحقيق بعض أهدافه، ولكن وجد نفسه فى مأزق الآن.

ولقد نجح ولأول مرة فى فرض مخططه فى لبنان وإخراج الثورة الفلسطينية من هانوى. «أبو عمار كان يعتبر بيروت للثورة الفلسطينية مماثلة لدور هانوى عاصمة فيتنام الشمالية فى دعم الثورة والقواد فى فيتنام الجنوبية» وذلك بمساعدة الأمريكيين وأطراف عربية تواطأت وما زالت تتواطأ معه.

لقد كان الحصار فى الجنوب وبيروت إسرائيليًا، وكان الحصار فى طرابلس إسرائيليًّا سوريا.

هذا على المستوى العسكرى.

أما الدروس المستفادة سياسيًّا: فإننى أقول إنه لابد من إعاده

التوازن سياسيا إلى المنطقة العربية وأرجو أن نرى أن ما يحدث فى جنوب السودان الآن هو استمرار لنفس خطة التقسيم الطائفى... خطة بلقنة المنطقة، وأرجو أن نرى المحاولات الإسرائيلية التى جرت فى لحظة من اللحظات داخل مصر، وأن نرى بعد ذلك ما يحدث فى بقية البلاد العربية، وتحقيق التوازن يتطلب ما سبق أن قلته عن عودة مصر إلى دورها القيادى فى العالم العربى، وإيقاف الحرب العراقية الإيرانية، وإنهاء المشاكل فى شمال أفريقيا.

وكانت الساعة قد جاوزت الثانية، ولم يبق فى أشرطة التسجيل الثلاثة ما يسمح بالمزيد... وكان سعيد كمال ينتظر إنهاء الحوار ليجتمع بزعيمه لبحث مسائل كثيرة تتعلق بتطور العلاقات بين مصر ومنظمة التحرير.

وبنفس المودة التى استقبلنا بها الرجل كان وداعه لنا، على وعد بأن يلتقى بوفدى الإذاعة والتليفزيون مساء نفس اليوم الذى أطل علينا فجره.

حول قضايا أبو عمار:

* ديمقراطية قرار الثورة والتنافس بين الهدف والأسلوب.

الحوار الثانى

قضايا كثيرة أثارها أبو عمار قائد مسيرة الثورة الفلسطينية، سواء فى حديثه معنا أو مع باقى أعضاء وفد الإعلام المصرى، وعدد من هذه القضايا يستحق منا وقفة، حتى وإن أغضبت عددًا من القادة الفلسطينيين، أو إن كانت لا تتفق مع مايراه الزعيم الفلسطينى.

ولنبدأ بقضية ديمقراطية القرار.. يكرر أبو عمار باستمرار ويفخر بالأسلوب الديمقراطى للقرار الثورى الفلسطينى هذا المنهج أو هذا الأسلوب، فرضه تعدد المنظمات الفلسطينية داخل كيان منظمة التحرير الفلسطينية.

وهذه المنظمات برغم فلسطينيتها فإنه لا يمكن القول أنها مستقلة فى قرارها تمامًا، ويمكن إدراك الأسباب، فبعض هذه المنظمات ظهرت إلى الوجود بإرادة عدد من الدول العربية التى سعت وتسعى لاحتواء الثورة الفلسطينية ككل، أو للتأثير على صناعة القرار داخل منظمة التحرير، وهذه واحدة، أما بعض المنظمات الأخرى فلا يمكن القول أن قرارها بعيد عن التأثر بسياسات ومصالح قوة عظمى كنتيجة للأرضية الفكرية الواحدة أو للمصلحة المشتركة..

وكثيرة هى المنظمات التى تتحرك فى إطار عربى وعالمى، بما يجعل قرارها فى النهاية انعكاسا لسياسات هذين الإطارين..

وإذا بحثنا عن أسباب أخرى فسنجد أن هذه المنظمات كلها تعتمد على تمويل خارجى عربى أو أجنبى بجانب التمويل الفلسطينى. والتمويل عربيا أو أجنبيا مع الاحترام الكامل للشعارات التى يتم تحتها، له دور فى التأثير على صناعة القرار..

وكنتيجة، فإنه يمكن القول أن الأخذ بأسلوب ديمقراطية القرار داخل الأقنية الشرعية للثورة، يعنى ممارسة هذه القوى لقدرتها على التأثير على القرار الفلسطينى.

وإذا أضفنا إلى ذلك محاولات قوى دولية أخرى عظمى أم غير عظمى، لأدركنا أن ديمقراطية القرار فتحت وتفتح الباب أمام شتى التأثيرات، وهناك فى تاريخ الثورة قرارات كثيرة لم تصب فى قنوات

بناء الثورة أو فلنقل إنها سحبت من رصيد الثورة كثيرا ويتساوى فى ذلك أن يتأخر صدور القرار إلى ما بعد التوقيت المناسب أو ألايصدر قرار أساسا.

هذا عن القــرار..

العنف المسلح:

ومن البديهى أن يدرك أبوعمار وباقى القادة الفلسطينيين أن الثورة نقيض للواقع، ولتحقق الثورة أهدافها المناقضة للواقع فإنها تعتمد العنف المسلح، والعنف المسلح بالنسبة للثورة هو الطريق لتحقيق أهداف هى فى الأساس سياسية.

وكما يقول، أبو عمار، فإن البندقية وحدها تحول حامليها إلى عصابة لو لم يكن لهم هدف سياسى واضح ومحدد ومعلن..

ووعى قائد الثورة الفلسطينية جنبه وجنب الثورة الفلسطينية الكثير من المزالق وإن كان هناك عدد من القادة قـد أقدم على أعمال لاتعكس مثل هذا الوعى. هذه الأعمال ايضا سحبت من رصيد الثوزة..

ودون أن نبتعد عن قضية العنف المسلح كطريق لأهداف سياسية محددة وواضحة، فإن مثل هذا المنهج يتطلب بالضرورة وحدة القرار ووحدة أداة التنفيذ، وبالضرورة وحدة السيطرة على أداة التنفيذ

هذه الوحدة بكل أبعادها هى عكس النهج الديمقراطى الذى يتحدث عنه أبو عمار..

والوحدة لاتعنى وحدانية القرار ففرق بين أن يصدر القرار عن إرادة فرد واحد يقود جماعة منظمة وبين صدوره عن قيادة تضم عددا من القادة متعددى التخصصات والخبرات والمسئوليات وإن شكلوا جميعا هيئة قيادة.

درس من الجزائر:

وإذا أردنا أن تضرب مثلا لما نقول، فإننا سنختار مثلا عربيا حتى يكون قريبا منا جميعا.. والمثل هنا هو جبهة التحرير الجزائرية، فقادة الجبهة أدركوا منذ البداية إن العنف المسلح يتطلب بالضرورة وحدة القرار ووحدة أداة التنفيذ ووحدة السيطرة على أداة التنفيذ، ولهذا رفعت الجبهة شعارها الحاسم المباشر «الرصاصة للفرنسى، والسكين لابن عمى»، ومضت الجبهة تصفى جسديا كل المنظمات والقوى.. والقيادات والأفراد الذين يشكلون عائقًا أمام تيار الثورة الجزائرية حتى وإن حسنت نواياهم.

وعندما لجأ الفرنسيون إلى إنشاء منظمات أوجماعات جزائرية ترفع أعلامًا أخرى وشعارات غير شعارات الثورة، وضعت جبهة التحرير شعارها المباشر موضع التنفيذ..

ولم تكتف الثورة الجزائرية بمطاردة هذه القوى داخل الجزائر بل امتدت ذراعها لقتالهم فى داخل فرنسا، بل فى أرجاء أوربا.

ويقول «أبو عمار» إن المنظمات الأخرى فى الجزائر أنشأتها فرنسا، فى حين أن دولا عربية هى التى أنشأت عددًا من المنظمات الفلسطينية، وهذا الفارق الجوهرى من وجهة نظر أبو عمار يجعل من الصعوبة تبنى شعار مماثل لشعار الثورة الجزائرية، ويرى أبو عمار أن الحل لقضية وحدة القرار الفلسطينى يتحقق بوحدة العالم العربى.

القائد.. والحل:

وطبعًا أبو عمار لا يقصد وحدة العالم سياسيا، إنما يعنى هذا القدر من الوحدة التى تجمع بين وحدتى الهدف والعمل.. وهو لهذا يرفع شعار إعادة التوازن إلى العالم العربى.. ويرى أن هذا التوازن يمكن أن يتحقق بالتالى:

- عودة مصر إلى احتلال دورها القيادى فى العالم العربى.
- إنهاء الحرب العراقية الإيرانية.
- إنهاء المشاكل فى شمال أفريقيا، ليتمكن المغرب العربى من أداء دوره فى منطقتنا كرافعة لتصحيح الأوضاع فى المشرق العربى التى اختلت بعد أن تعرض للوباء السياسى وفتكت به الطائفية.. ولأبو عمار الحق فى أن يختار طريقه، وللثورة أن تختار طريقها، أو

فلنقل تنحت طريقها، فالذين يبذلون الحياة وينزفون الدم هم أصحاب الحق فى الاختيار.. وليس لحملة الأقلام إلا أن يطرحوا وجهات نظرهم..

وها نحن نقول لأبوعمار إن الاختيار الديمقراطى داخل منظمة ثورية يعنى التناقض بين الهدف والأسلوب، وإن وحدة القرار ووحدة السيطرة على أداة التنفيذ الموحدة تقود إلى فعالية وعبقرية العمل الثورى فكرا وعملا.

الجيش الإسرائيلى:

والقضية الثانية، ماقاله أبوعمار حول ضعف الجيش الاسرائيلى، وإنه اكتشف هذا الضعف خلال معارك يونيو ١٩٨٢ وحصار بيروت..

واحتراما منا لأبو عمار ودوره القيادى وتقديرا منا لمدى احترامه هو للحقيقة قلنا له أثناء الحوار معه إننا «نخشى أن نتأرجح فى تقييمنا للعدو بين التهويل والتهوين والمطلوب تقييم موضوعى للجيش الاسرائيلى».

وعندما قال أبو عمار «من الواضح إن هذا الجيش لايصطدم بصخرة أى إنه لايواجه نقطة مقاومة ويرسل طائراته ويصب عليها نيرن مدفعيته للقضاء على الصخرة تمهيدا لمواصلة التقدم».

قلنا له «ليس من ضمن أساليب الجيش الاسرائيلى فى القتال خوض معارك تصادمية دون مبرر تلحق به خسائر جسيمة خاصة فى الأرواح»..

ولأبو عمار أن يستنتج ضعف الجيش الاسرائيلى فى المعارك التصادمية وأن يستشهد فى ذلك بمقال لزئيف شيف الكاتب العسكرى الاسرائيلى، وله أن يقول إن هذا الجيش اسطورة أكثر منه واقع..

درس أكتوبر:

ونحن نتفق معه إن هذا الجيش ليس بحجم الأسطورة.. وإن هزيمة هذا الجيش فى مقدرة أى جيش منظم ومسلح والأهم تتوفر له قيادة قادرة على وضع الخطط الملائمة ووضع هذه الخطط موضع التنفيذ..

وتجربة معركة أكتوبر ١٩٧٣ هى خير دليل، فقد نجحت القوات المصرية فى إلحاق الهزيمة بالجيش الإسرائيلى ونشبت أظافرها فى لحمه بصورة طيبة لأول مرة..

ولكننا نقول إن الجيش الاسرائيلى ليس جيشا ضعيفا. بل هو جيش حديث وتتوافر له قيادة على مستوى جيد وترسانته العسكرية هائلة وصناعته الحربية صناعة متقدمة ومتطورة.

الأهــداف :

وإذا عدنا إلى العملية «السلامة للجليل» التى نفذتها إسرائيل فى بداية شهر يونية ١٩٨٢ والتى تطورت إلى غزو عسكرى شامل للبنان سنتبين أن من أهم أهداف هذه العملية:

١ – محاولة كسر البنية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية وتدمير الطاقة العسكرية والقوة السياسية لها.

٢ – إخراج قيادة المقاومة من لبنان.

٣ – فرض ترتيبات أمن تحقق ضمان عدم عودة الوجود الفلسطينى المسلح إلى تلك الجبهة.

٤ – فرض الوصاية على لبنان والسعى لاقامة دولة مارونية.

٥ – محاولة إقامة دول طائفية فى المنطقة مارونية ودرزية وشيعية وسنية وعلوية لتفتيت المنطقة وتحقيق نوع من التجانس بين هذه الدول الطائفية وإسرائيل.

وهناك أهداف أخرى منها:

١ – تجميد القوات السورية ومحاولة إخراجها من لبنان.

٢ – ضم الأراضى الواقعة جنوب الليطانى بما يعنى مد حدود إسرائيل إلى نهر الليطانى.

٣ – الحصول على قدر من مياه الليطانى.

٤ – حرمان السوفييت من نقطة ارتكاز قوية فى لبنان خاصة فى منطقة الجنوب.

٥ – المساعدة على إقرار التوازن فى لبنان وتطبيع الوضع فى مختلف أرجائه وسواء كانت هذه الأهداف كلها أو بعضها خلف الاجتياح الاسرائيلى للجنوب اللبنانى وفرض الحصار على المنطقة الغربية لبيروت، فإن ذلك يوضح سعى إسرائيل لفرض ارادتها بالقوة والسؤال هل حققت إسرائيل أهدافها ؟.

يجيب عن ذلك أبو عمار بقوله: «لدينا الشجاعة الكافية لنعترف بأن العدو قد نجح فى تحقيق أهدافه»

وإذا حاولنا تعداد هذه الأهداف سنجد أن الجيش الإسرائيلى استطاع كسر البنية العسكرية لمنظمة التحرير بعد أن خرجت قوات المقاومة من الجنوب بالهزيمة، وخرجت من بيروت إلى الشتات تاركة سلاحها خلفها.

وفقدت الثورة الفلسطينية بخروجها من لبنان آخر اتصال برى بينها وبين العدو، أى لم يعد لها نقطة تماس مع عدوها، بعد أن خسرت الأردن فى سبتمبر عام ١٩٧٠ ولبنان عامى ١٩٨٢، ١٩٨٣.

- أخرج قيادة المقاومة من لبنان.
- فرض ترتيبات أمن لضمان عدم عودة الوجود الفلسطينى المسلح إلى الجنوب اللبنانى.

وهذا فيما يتعلق بالمقاومة الفلسطينية يشكل خسارة لها شأنها.

أما باقى الأهداف التى سعت لها إسرائيل سواء بالنسبة للبنان كلبنان أو لسوريا فإنها لا تضيف كثيرًا فى تحليلنا.

وأن تتحقق مثل هذه الأهداف بثمن غال، فذلك هو الطبيعى، فأهداف بهذا الحجم وضد مقاومة فلسطينية باسلة، تقاتل عن آخر خندق لها لابد أن يكون لها ثمن.. وثمن مرتفع..

وقد تمكنت المقاومة من تكبيد قوات الغزو الكثير من الضحايا.. ومازالت القوى الوطنية بالتعاون مع المقاومة الفلسطينية تلحق بالعدو قدرًا موجعًا من الخسائر..

وتظل الحقيقة برغم الخسائر الاسرائيلية أن الجيش الإسرائيلى حقق الكثير من أهدافه التى استهدفها بعملية «السلامة للجليل»

الحشد الإسرائيلى:

وعندما يقول أبو عمار أن إسرائيل حشدت ضد قواته فى لبنان ٨,٥ فرق من جملة ١١,٥ فرقة هى كل قوة الجيش الاسرائيلى

بالإضافة إلى القوات البحرية والجوية الإسرائيلية.. فإننى أرجو أن يراجع أجهزة معلوماته، ولا أطلب منه أن يعتمد على الأرقام التى أعلنتها السلطات المصرية، خاصة فيما يتعلق بالقوات الإسرائيلية الموجودة فى مواجهة القوات المصرية فى سيناء.

فإن حشد ثمانى فرق إسرائيلية ونصف يعنى أن إسرائيل دفعت إلى مسرح العمليات اللبنانى بأكثر من ٢٥٠٠ دبابة، خمسة آلاف عربة وناقلة جنود مدرعة، ألف وثمانمائة قطعة مدفعية وأكثر من ٢٨٠ ألف جندى.

كل هذه القوة لمواجهة قوة فلسطينية مدرعة لا تتجاوز ٧ كتائب مشاة، ٢ كتيبة دبابات، ٥ كتائب مدفعية ميدان؟ كتيبة مدفعية صاروخية، وهذه القوة تضم ٨٠ دبابة ت ٣٤، ت٥٤، ١٥٠ قطعة مدفعية ميدان وهاون، ٩٠ قطعة مدفعية متوسطة، ٨٠ قطعة مدفعية صاروخية، ٢ زورق دورية.

هذا مع الفارق الكبير فى السلاح بين ما تملكه المقاومة وما تملكه إسرائيل.. وإذا اعتمدنا منطق الأرقام، فإن إسرائيل عام ١٩٨٢ كانت تملك ٣٥٠٠ دبابة، ٨٠٠٠ عربة مدرعة وناقلة جنود مدرعة، ٢١٣٨ مدفعًا.

وكان الجيش الإسرائيلى يضم ٣٣ لواء مدفعيًّا مدرعًا، ١٠ ألوية ميكانيكية ١٢ لواء مشاة، ١٥ لواء مدفعية..

فهل فى مثل هذه الأرقام ما يؤكد صحة المعلومات التى وفرتها أجهزة المقاومة المسئولة للقائد الفلسطينى؟

ثم استنادًا إلى الأرقام التى يذكرها أبو عمار من حشد إسرائيل لثمانى فرق ضد قوات المقاومة فى لبنان خلال عمليات يونية ١٩٨٢، وتوزع ثلاث فرق إسرائيلية أمام باقى الجهات.

يقول أبو عمار: إن الطريق إلى القدس كان مفتوحًا، وكان يمكن لأى جيش عربى أن يصل إلى القدس.. وأبو عمار يدرك حقيقة أبعاد ما يقوله،.. فهو أولا: يعنى استبسال المقاومة فى مواجهة مثل هذا الحشد، وثانيًا: يعنى أن المقاومة لم تخرج من لبنان إلا بقوة كاسحة لا قبل لها بها، وبرغم ذلك فقد حققوا المفاجأة وصمدوا طويلًا وكبدوا العدو خسائر هائلة، وثالثًا: الغمز من قناة كامب ديفيد، ورابعًا: يعنى أنه برغم قدرة الجيوش العربية فى دول المواجهة على استثمار الموقف المواتى، فإنها تقاعست أمام مسئوليتها القومية والتاريخية..

وهذا هو الخطير فى الأمر، ولو كان الأمر مثلما يقول أبو عمار لكان له الحق كل الحق فى أن يعلنه وبكل السبل والوسائل.. ولكن الأمر ليس كذلك..

مجموعة الحقائق :

وهناك مجموعة حقائق..

١ - لقد حشدت إسرائيل قوة كبيرة فى مجموعات عمليات للهجوم على المحاور الرئيسية بلغت ثلاث مجموعات عمليات ولواءى مظلات.. وكانت مجموعة العمليات ذات تشكيل خاص، حيث كانت تتكون من لواء مدرعات ولواء مشاة ميكانيكي ولواء مشاة ولواء مظلات.

٢ - خططت إسرائيل حتى ٣ - ٤ طلعة سرب/يوم خلال مراحل القتال، بخلاف حجم المجهود الجوى المخصص لتوجيه الحماية الجوية ضد قواعد الصواريخ السورية فى سهل البقاع «٦٠ - ٨٠ طائرة»

٣ - حشدت إسرائيل حتى ٥ مجموعات قتال بحرية تضم كل منها «لنشات صاروخية ووحدات إبرار جوى، بالإضافة إلى عدد ٢٢ طائرة استطلاع من طراز «ويست ويند»

٤ - حشدت إسرائيل فى مواجهة كل الجبهات قوة مناسبة لمواجهة أية احتمالات، فلم تكن إسرائيل لتعرض وجودها للخطر أبدًا حتى ولو اعتمادًا على معاهدة سلام.

٥ - برغم حجم القوات الإسرائيلية المناسب فى مواجهة كل من

مصر والأردن وسوريا فإن إسرائيل تقاتل فى خطوط داخلية، وذلك يعنى قدرتها الهائلة على المناورة بقواتها بين الجبهات المختلفة، اعتمادًا على شبكة مواصلاتها الجيدة جدًّا ومرونة قواتها الميكنة بالكامل، وقد سبق أن مارست إسرائيل بكفاءة قدرتها على المناورة من الخطوط الداخلية عام ١٩٤٨، وعام ١٩٦٧، وعام ١٩٧٣.

وهناك جانب آخر نستكمل به حديثنا عن الجيش الإسرائيلى، وأحب أن أوضح أن ذكر الحقائق لا يعنى أنها حقائق مطلقة، فإن أية أرقام تقدمها المقاومة من مصادر موثوق بها يمكن أن تضيف أو تغير من الاستنتاجات التى نذكرها..

كما أن هذه المعلومات التى نطرحها، لا نطرحها للتأثير على معنويات أحد، أو أننا نتبنى منطق التهويل من قوة العدو، وإنما نطرحها كمعلومات ربما تساعد على إضاءة شمعة أمام قادة الثورة الفلسطينية.. وهذا الجانب يتعلق بخطط التسليح الإسرائيلية الحالية.

ميزان القوى:

وكل برامج وخطط التسليح الإسرائيلية ترتبط بحركة ميزان القوى التى تحرص القيادة الإسرائيلية على عدم اختلاله لصالح لأطراف العربية.

وتتحرك القيادة الإسرائيلية باستمرار للحفاظ على ميزان قوى موات كمًّا وكيفًا، سواء بعقد صفقات كبيرة مع الولايات المتحدة الأمريكية، أو بتصنيع نسبة كبيرة من احتياجاتها فى مصانعها الحربية.

وإذا نحن ألقينا نظرة على ميزانية وزارة الدفاع الإسرائيلية سيتبين أنها بدأت تتزايد بعد معركة أكتوبر ١٩٧٣، فميزانية عام ١٩٧٥/١٩٧٤ ارتفعت من ١,٤٧٤ مليار دولار إلى ٣,٦٨٨ مليار دولار، أى أنها ارتفعت إلى ما يقرب ثلاثة أضعاف المبالغ المرصودة فى ميزانية ١٩٧٤/١٩٧٣.

وارتفعت أرقام الميزانية عام ١٩٧٧/١٩٧٦ إلى ٤,٢١٤ مليار دولار؛ أما ميزانية عام ١٩٨١/١٩٨٠ فبلغت ٥,٢ مليار دولار؛ وقفز الرقم إلى ٧,٣٤ مليار دولار عام ١٩٨٢/١٩٨١.

وارتبطت زيادة الإنفاق العسكرى بزيادة حجم القوات المسلحة.

الخطتان ماتمون – بى، ماتمون – سى:

ومنذ عام ١٩٧٤ وإسرائيل تعيد تسليح وإنشاء قواتها المسلحة وفقًا لخطة أطلق عليها «ماتمون – بى» وعلى ضوء المتغيرات العالمية والمحلية أعيد النظر فى الخطة عام ١٩٧٧ وظهرت إلى الوجود الخطة «ماتمون – سى» لتطوير القوات الإسرائيلية حتى عام ١٩٨٦.

وتتمثل أهداف إسرائيل من الخطتين فى بناء وتسليح قوات مقاتلة قوية بما يكفى للقتال على عدة جبهات فى آن واحد، وذلك لمدة ثلاثين يومًا بدون اللجوء إلى الولايات المتحدة لإنشاء جسر جوى مثلما حدث فى أكتوبر ١٩٧٣.

وبنفس هذا المنطق تضمنت الخطة تحقيق أعلى نسبة من الاكتفاء الذاتى فى ميدان الصناعة الحربية وخلال السنوات الماضية حققت هذه الصناعة تقدمًا ذا شأن فى ميدان صناعة الطائرات، ولنشات الصواريخ والمدرعات، ومعدات الحرب الإلكترونية وعدد كبير من الأسلحة الأخرى والذخيرة.

وكمثال: فإن إسرائيل تصنع دباباتها من طراز «مركيفا» وعربتها المدرعة من طراز «رامات».

وقد هاجمت لبنان مستخدمة هذين الطرازين من الدبابات والعربات المدرعة فى مظاهرة لصناعتها الحربية.

كما تنتج طائرات من طراز «كفير» و «أرافا» و «كوماندو» وطائرات الاستطلاع «ايست وند سى سكان ١١٢٤» وفى ميدان الأسلحة البحرية تنتج زورق الدورية من طراز «دابور» ولنش الصواريخ من طراز «ريشيف» والصاروخ الإسرائيلى المعدل من طراز «جبرييل - ٣».

وتهدف كلتا الخطتين «ماتمون - بى» و «ماتمون - سى» إلى زيادة عدد طائرات الخط الأول بالقوات الجوية بالحصول على ٢٥ مقاتلة اف - ١٥ وقد امتلكت إسرائيل هذا الرقم فعلا عام ١٩٨٠/١٩٧٩ وبدأت تعمل لامتلاك المزيد.

١٣٠ مقاتلة من طراز اف - ١٦. وذلك فى إطار زيادة عدد المقاتلات من ٥٥٠ طائرة كانت إسرائيل تمتلكها عام ١٩٧٦ إلى ٧٥٠ طائرة عام ١٩٨٦. زيادة طائرات النقل ٥٠ طائرة عما كان لديها عام ١٩٧٦ ليصبح لديها عام ١٩٨٦ ١١٠ طائرات. امتلاك ٣٠ هليكوبتر هجومية عام ١٩٨٠ ترتفع إلى ٨٠ عام ١٩٨٦.

وفى عام ١٩٨٢/١٩٨١ أصبح لدى إسرائيل ٣٢ هليكوبتر فعلاً.

وفيما يتعلق بالأسلحة الأخرى.

زيادة عدد الدبابات من ٢٢٠٠ دبابة عام ١٩٧٦ إلى ٣٣٠٠ دبابة عام ١٩٨٠ إلى ٥٠٠٠ دبابة عام ١٩٨٦. زيادة عدد ناقلات الجنود من ٣٣٠٠ عام ١٩٧٦ إلى ٩٢٠٠ عام ١٩٨٠ ليرتفع إلى ١١ ألفًا عام ١٩٨٦.

وقد امتلكت إسرائيل ٨٠٠٠ عربة مدرعة وناقلة جنود مدرعة عام ١٩٨٢/١٩٨١ أى أنها تحقق الرقم المستهدف لعام ١٩٨٠.

مضاعفة عدد الصواريخ المعتادة للدبابات خمس مرات ليصبح

٥٠٠ عام ١٩٨٠ وليرتفع إلى ٩٠٠ عام ١٩٨٦ زيادة عدد كتائب الصواريخ أرض أرض من ٣٠ كتيبة عام ١٩٧٦ إلى ٤٠ كتيبة عام ١٩٨٠ وإلى ٥٠ كتيبة عام ١٩٨٦.

وفى ميدان القوات البحرية.

زيادة رقم لنشات الصواريخ من ١٨ لنشا عام ١٩٧٦ إلى ٢٤ لنشا عام١٩٨٠ وإلى ٣٠لنشا عام ١٩٨٦ ويصبح السؤال وإلى من ستوجه هذه القوة؟

إنها بالقطع ليست موجهة ضد المقاومة الفلسطينية فقط.. ولكن لها أهداف أخرى أكبر وأكثر طموحًا.

أبو عمار يؤكد:

* الوحدة الفلسطينية لم تكن أقوى مما هى الآن.

* الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة التف حول الشرعية.

* دور القيادة الفلسطينية فى مواجهة المخططات الإسرائيلية فى الضفة الغربية.

الحوار الثالث

في حين اخترت أن أرى الثورة الفلسطينية بعيون مصرية، اختار البعض في مصر أن يروا مصر بعيون فلسطينية..

وكان منطقيًا أن تختلف الطرق وتتباين الرؤى.. وكان منطقيًا أيضًا أن تختلف معادلات العلاقات مع قيادات ورموز الثورة الفلسطينية.

فهم في البداية والنهاية بشر..

وكنتيجة لم يكن ممكنًا ألا نتعرض بالنقاش للقضايا التي أثارها الزعيم

الفلسطينى أبو عمار خلال لقاء الوفد
الإعلامى المصرى به فى مقر قيادته المؤقت
فى تونس..

وخلال محنة قتال الأشقاء رفاق الطريق والسلام فى طرابلس، تحققت الوحدة بين صفوف الشعب الفلسطينى بالأرض المحتلة. هذه الوحدة شكلت ضغطًا على المنشقين، ودفعت بطاقة معنوية هائلة فى شرايين الرجال المحاصرين داخل طرابلس. جددت فيهم الآمال وأكدت لهم أنهم على الحق.

الوحدة الفلسطينية:

وفى ذلك يقول أبو عمار: إن الوحدة الفلسطينية قوية، وبرغم الانشقاق والخلافات ونهر الدماء الذى سال، فإن الوحدة لم تكن وية مثلما هى قوية اليوم. فالشعب الفلسطينى أعلن رفضه للمؤامرة لتى استهدفت تصفية قيادة الثورة وضرب استقلالية القرار الفلسطينى. فلم يحدث أن ارتفع صوت فلسطينى واحد من داخل الأرض المحتلة ضد الشرعية الفلسطينية أدان الكل المؤامرة.

وواثقًا من الأرض التى يقف عليها.

واصل أبو عمار حديثه قائلًا: وبدون تواضع فإن الكل وقف خلف قيادتى، خلف الشرعية الفلسطينية واستمرارية المنظمة.

ويقول أبو عمار أيضًا: إنه يقول ذلك وما زال خنجر «الانشقاق» فى ظهرى، وأدرك الجميع أن أبا عمار يعنى الشقاق بين الأشقاء الذى كشفت عنه أحداث طرابلس.

ونقول لأبى عمار: إذا كان الشعب الفلسطينى ملتفًا حول قيادته، فلماذا لا يقدم على حسم الموقف.

قرارات جذرية:

إن القائد يظل فى حاجة إلى مؤشرات واضحة عن حقيقة تأييد شعبه، وعندما تتوفر هذه المؤشرات يكون الوقت ملائمًا لقرارات جذرية.. وليس هناك وقت أفضل من الآن لمثل هذه القرارات.

وللثورة أن تختار بين التحرر من عوائق كبلت حركتها طويلاً، وحدت من فاعليتها..

ولست أشك للحظة أن التفاف الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة حول قيادة أبى عمار، إنما كان رفضًا لكل أهداف المنشقين ومن يدعمونهم، وتمسكًا بالأمل فى قدرة المنظمة على أن تسبق الأيام للوصول إلى حل للمشاكل التى يعيشونها، فالعدو قد استولى على النسبة الكبرى من أراضى الضفة الغربية وغزة، إما لتحويلها إلى مستوطنات أو لمرافق جديدة.. والقرار الإسرائيلى الجديد الخاص بتحديد عرض الطرق بـ ٧٥ مترًا إنما يستهدف هدم بيوت

فلسطينية قائمة، والاستيلاء على أراضٍ جديدة.

وأبو عمار نفسه يقول: إن الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة يدفع ٣٨ نوعًا من الضرائب، وإن الإسرائيليين يسرقون كل شىء من مواطنى الضفة الغربية بما فى ذلك الماء.

كما تواصل السلطات الإسرائيلية مخططاتها لتفريغ الضفة وغزة من السكان، إما بالحد من فرص العمل، أو بممارسة الضغوط المختلفة، وتحقق هذه المخططات قدرًا من النجاح أزعج ويزعج القيادة الفلسطينية، فإن أبا عمار يشكو من موقف الدول العربية.

ويقول: إنهم لا يعطوننا سوى الفتات بل فتات الفتات.. ونحن نحتاج إلى تمويل لمواجهة المخططات الإسرائيلية.

جوانب مشرقة:

وهناك جانب مشرق يفخر به أبو عمار، فهناك خمس جامعات داخل الأرض المحتلة، والسادسة فى الطريق.

وترتفع نبرة الفخر والقائد الفلسطينى يقول: إن أعداد المتعلمين الفلسطينيين تأتى فى المرتبة الثانية فى العالم العربى بعد مصر... شعب خمسة الملايين استطاع أن يحقق هذا الإنجاز مستشرفًا مستقبله بكل طلباته.

ويواصل أبوعمار: إن الفلسطينيين تفوقوا فى كل المجالات، وإنهم يحتلون أماكن حساسة وحيوية، فى كل ميادين العلوم والبحوث والتجارب والصناعات فى العالم.

وعندما سألته: بما فى ذلك ميدان علوم الفيزياء والذرة.

أجاب بما فى ذلك الفيزياء والذرة.

وسألته مستزيدًا ومستوضحًا..

أجاب مؤكدا أن عددًا من الفلسطينيين يشغلون مواقع متميزة فى هذا الميدان. وهذه الصورة المشرقة التى تبرز من بين ثنايا الواقع تزيد من عبء المسئولية الملقاة على القيادة للإسراع فى الوصول إلى حلول لمشاكل أهالى الضفة والقطاع.. خاصة والوقت يعمل لصالح مخططات السلطة الإسرائيلية.

هذا بالنسبة للمخططات المرحلية وإن كانت هناك مخططات ترتبط بطموحات إسرائيل غير المحدودة..

أبو عمار والملك حسين:

لقد كانت محاولة أبو عمار والملك حسين للوصول إلى اختيار طريق لاجتياز صعاب المرحلة بعد الخروج من بيروت، محاولة يمكن أن تضرب بجذورها فى مناخ موات وعالم مستعد أن يقدم لها الدعم..

فقد أتت بعد مؤتمر فاس الثانى وطرح مبادرة فاس. وبعد طرح

الرئيس الأمريكى ريجان لمبادرته فى سبتمبر عام ١٩٨٢.

وفى نفس الوقت كان الرصيد الإسرائيلى بعد عملية الغزو الإسرائيلى الشامل للبنان قد أظهر أمام الرأى العام العالمى الطبيعة العدوانية للدولة الإسرائيلية، بما يسمح بتجميع رأى عام عالمى إيجابى لصالح الوصول إلى اختيار سلمى، يحقق أهدافًا فلسطينية أردنية. إلا أن الضغوط التى تعرض لها القائد الفلسطينى أحبطت كل الآمال التى أزهرت وقتذاك.

وكان التحرك المضاد للاختيار الفلسطينى الأردنى. عنيفًا وسريعًا وفعالاً، فلم يكن النظام السورى ليقبل أن يترك فى العراء فى حالة اتفاق أردنى فلسطينى، هذا على المستوى العربى. وعلى المستوى العالمى: لم يكن السوفييت ليقبلوا أن يفقدوا سيطرتهم على مجريات الأحداث بهذه البساطة، لصالح ازدياد النفوذ الأمريكى المتنامى بصورة مطردة.

ونقول لأبى عمار: إن ديمقراطية القرار، وتعدد المنظمات، وتعدد الولاءات، والساحة المفتوحة أمام القوى العربية والعالمية لممارسة التأثير، هى التى قادت إلى هذا الفشل.

وعندما توجه أبو عمار إلى الأردن بعد الخروج من طرابلس، كان لوقت قد تأخر كثيرًا.

فمبادرة ريجان فقدت قوة الدفع. ولم تعد الإدارة الأمريكية تعطيها نفس الاهتمام.. وتأكد أن مبادرة فاس فاقدة لأهم مقومات النجاح المتمثلة فى القوة والقدرة، على وضعها موضع التنفيذ.

وانسحب اهتمام الرأى العام العالمى لحل المشكلة اللبنانية التى برزت على حساب القضية الفلسطينية، خاصة بعد أن تورطت فيها أطراف كثيرة، وأصبحت جزءًا من حرب الحركة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى.. وأعنى بحرب الحركة: الحرب فى منطقة مفتوحة للصراع بين القوى الكبرى من أجل الحصول على مناطق نفوذ.. والشرق الأوسط نموذج مثالى لمناطق حرب الحركة حاليًا..

وأيًّا كان حصاد اللقاء الأردنى الفلسطينى الأخير، فإنه لم يقدم حلًّا لمشكلة أهالى الضفة والقطاع، ولم يشكل قوة فعالة على الساحتين الأردنية والفلسطينية، أو على الساحة العربية.

وما زال مطلوبًا من أبو عمار والقيادة الفلسطينية الوصول إلى قرار أو مجموعة قرارات جذرية..

درس من الجزائر:

وأبو عمار القائد يتذكر أن وحدة القرار بجبهة التحرير الجزائريا حمت الثورة الجزائرية.

وشعار: «الرصاصة للفرنسي، والسكين لابن عمى» أدى دوره جيدًا.

فعندما سقط ديدوش مراد شهيدًا لم تهتز الجبهة.. وكان ممكنًا أن تواجه الثورة الجزائرية وجبهة التحرير الجزائرية مأزقًا حادًا، عندما اختطفت فرنسا خمسة من قادة الثورة الجزائرية على رأسهم القائد أحمد بن بيلا، لو لم تحافظ الجبهة على وحدة القرار، ولم لم تقض على كل القوى الأخرى على الساحة..

وأفلتت الثورة الجزائرية من المأزق.. وأشك كثيرًا أن تستطيع الثورة الفلسطينية مواجهة مثل هذا المأزق الذى واجهته الثورة الجزائرية، بعد اختطاف بن بيلا ورفاقه. وإذا كان أبو عمار سعيدًا بفشل منظمات القرى التى أنشأتها إسرائيل، وذلك بفضل قوة نفوذ منظمة التحرير داخل الأرض المحتلة، فإن هذه السعادة لابد أن تتحول إلى عمل إيجابى لصالح هؤلاء الذين يعيشون محنة الاحتلال الإسرائيلى منذ عام ١٩٦٧.

وأرجو أن تكون القيادة الفلسطينية مدركة لخطورة ما تحمله الأيام بالنسبة لأهالى الضفة والقطاع، ليس ذلك فقط. بل الضفة الشرقية لنهر الأردن التى تشكل المملكة الأردنية الهاشمية.. لقد أوضحنا حقيقة القوة العسكرية التى تبنيها إسرائيل بإصرار وثبات.

القوة العسكرية الإسرائيلية:

ووفقًا للخطتين: فإن إسرائيل خططت لامتلاك ١١ لواء مدرعًا تضم ٣٣٠٠ دبابة عام ١٩٨٠، بالاضافة إلى ١٠ ألوية ميكانيكية تضم ٩٢٠٠ حاملة وعربة قتال مدرعة أى ١٢٥٠٠ قطعة مدرعة. وقد تمكنت عام ١٩٨٠ من امتلاك ٢٤ لواء مدرعًا تضم ٣٠٥٠ دبابة وخلال عام ١٩٨١ أصبح لديها ٨٠٠٠ عربة قتال وحاملة جنود مدرعة أى ١١٠٥٠ قطعة مدرعة، وإذا كانت مساحة اسرائيل ٢٠ ألف كيلو متر مربع فإن ذلك يعنى أن نسبة الحشد المدرع لمساحة الأرض أصبحت قطعة مدرعة لكل ١,٨ كيلو متر مربع.

وهذه نسبة لم تعرفها دول العالم من قبل عبر التاريخ حتى الآن.

ولم تتوقف إسرائيل عند هذا، بل خططت فى نفس الخطة للوصول إلى امتلاك ١٣ تشكيلاً مدرعًا عام ١٩٨٦، تضم ٥ آلاف دبابة بالإضافة إلى ١١ ألف ناقلة وعربة أى: ١٦ ألف قطعة مدرعة ليرتفع بذلك الحشد المدرع إلى مساحة الأرض، لتصبح قطعة مدرعة لكل ١٢٥٠ مترًا مربعًا أى ١:١,٢٥ كيلو متر مربع.

مثل هذا الحشد المدرع المكتل يعطى مؤشرات ودلالات لاتخفى على أحد.

وإذا كانت إسرائيل قد تمكنت من الوصول إلى الأرقام المستهدفة لعام ١٩٨٠، فإن ذلك يوضح أنها ستتمكن من الوصول إلى الأرقام المستهدفة عام ١٩٨٦.

وإذا وضعنا فى الاعتبار أنها تجاوزت عددًا من الأرقام المستهدفة لعام ١٩٨٠، فإن ذلك يعنى أيضًا أنها قد تتجاوز عددًا من الأرقام المستهدف تحقيقها عام ١٩٨٦.

وذلك يعنى من بين ما يعنى زيادة نسبة كثافة الأسلحة والمعدات داخل إسرائيل، خاصة إذا أضفنا المدافع وأنظمة الصواريخ المختلفة، سواء الأرض-أرض ، أو الأرض-جو، أو السطح-سطح، أو الجو-أرض، أو الجو-جو.. والمضادة للدبابات، وغير ذلك من الأسلحة والمعدات.

دلالات عسكرية:

وإذا أردنا أن نلقى قدرًا من الضوء يساعد على فهم دلالات زيادة متوسطات الكثافة العددية للدبابات فى الكيلو متر المربع، فإننا سنحتاج لمعرفة متوسطات الكثافة بجبهات القتال خلال جولات الصراع العربى الإسرائيلى.

فعندما بدأ القتال بين الجيوش النظامية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ : لم

تكن متوسطات الكثافة الميدانية تتجاوز ٢-٣ دبابات فى الكيلو متر المربع بالجبهة.

وارتفعت هذه النسبة فى الجولة الثانية عام ١٩٥٦ لتصبح ٥-١٠ دبابات فى الكيلو متر المربع. وفى الجولة الثالثة عام ١٩٦٧: ارتفعت النسبة مرة أخرى لتصبح ١٠ - ١٥ دبابة فى الكيلو متر المربع. أما فى الجولة الرابعة عام ١٩٧٣: فقد ارتفعت النسبة لتصبح ٤٠ - ٥٠ دبابة فى الكيلو متر المربع من الجبهة، أى فى المواجهة على امتداد الضفة الشرقية للقناة حيث دارت أكبر معارك الدبابات.

أى أن إسرائيل بما تمتلكه الآن وما تخطط لامتلاكه مستقبلاً ستكون قادرة على دفع أعداد أكبر من الدبابات إلى جبهات القتال، لترتفع متوسطات كثافة الدبابات فى الكيلو متر المربع إلى نسبة لم تعرفها ميادين القتال من قبل.

وإذا أسقطنا الجبهة الجنوبية لإسرائيل خلال السنوات التى سيسود فيها السلام بين مصر وإسرائيل، فإن ذلك يعنى أن القوة العسكرية أصبحت تمتلك تفوقاً، بل سيادة على جبهتى القتال الاخريين، ليس ذلك فقط، بل أصبحت تمتلك قوة قادرة على لعب دور كبير على مسرح الأحداث فى المنطقة.

والأمر هنا لا يتعلق بالكم فقط، بل بالكيف، فالأسلحة والمعدات التى خططت إسرائيل وتخطط للحصول عليها، سواء من

الإنتاج الحربى داخل إسرائيل أو من الخارج، تتميز بمطابقتها لاحتياجات إسرائيل وحداثتها.

شىء آخر: لقد خططت إسرائيل لامتلاك ٧٥٠ طائرة قتال عام ١٩٨٦، وطبقًا لبيانات معهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن لعام ١٩٨٢/١٩٨١، فإن لدى إسرائيل ٦٠٢ مقاتلة، أى أنها اقتربت من تحقيق الرقم المستهدف فعلاً.

والسؤال: أين هى ميادين التدريب التى تتسع لمثل هذا الرقم سواء الحالى أو المستهدف.

وخسر العدو سيناء:

وهذا يذكرنا بمدى الخسارة التى لحقت بإسرائيل نتيجة لانسحابها من سيناء، والتى كانت تمثل لها ميدانًا ملائمًا لتدريب قواتها الجوية والتخفيف من كثافة الحشد داخل إسرائيل، سواء للأسلحة أو المعدات البرية أو الجوية.

ونعود مرة أخرى لسؤال: إلى من أو ضد من ستستخدم هذه القوة؟ ولتحقيق أية أهداف؟.

إن مثل هذه القوة الضخمة تتطلب مجالا حيويًّا، ومرة أخرى.. أين؟

إذا نظرنا إلى لبنان فإن غرق إسرائيل فى المستنقع اللبنانى،

والخسائر التى لحقت بها، لا ينسينا أنها حققت نسبة كبيرة من أهدافها.

ويعترف أبو عمار بشجاعة بذلك.. فهل يكون الميدان المقبل سوريا؟

إن سوريا تشكل لإسرائيل هدفًا هامًّا.. وبين الحين والحين ترتفع دقات طبول الحرب. إلا أن القوة العسكرية السوفييتية الموجودة داخل سوريا والتى تتحمل مسئوليات قيادية ورئيسية داخل البنية العسكرية، تجعل حسابات المعركة دقيقة، لأنها ترتبط بكبرياء ونفوذ قوة عظمى.. وهذه القوة العظمى وضعت وتضع كل رهانها على حماية النظام السورى.. آخر موطئ هام لها فى هذه المنطقة.

كما أن إسرائيل تفضل الانتظار لما بعد معارك الخلافة داخل النظام السورى، فليس ثمة شك من انهيار هذا النظام بعد اختفاء الرئيس الأسد من الساحة، وإسرائيل بوصولها إلى دمشق ستصطدم بموازين قوى عالمية لا قبل لها بها.

ويبقى الأردن.. أو الضفة الشرقية للأردن، والأردن يمثل هدفًا رئيسيًا فى المخططات الاسرائيلية.. كما أنه الجبهة الأضعف، ولن يكون الضجيج العالمى كبيرًا فيما لو استغلت إسرائيل ظروفًا بدرجة مناسبة.

الضفة الشرقية للأردن:

والاستيلاء على الضفة الشرقية للأردن سيحقق لإسرائيل مجموعة أهداف منها: تفريغ الضفة الغربية وغزة - خاصة الضفة الغربية - من السكان بتجاه الضفة الشرقية لابتلاع الضفة الغربية نهائيًا.

مد نطاق حدودها إلى الحدود السعودية. بما يجعلها قادرة على ممارسة ضغوط للتأثير على القرار السعودى.

هذا الاقتراب يعنى الاقتراب من منابع النفط الرئيسية فى المنطقة وفى العالم، بكل ما يعنيه ذلك بالنسبة للمخططات الأمريكية.

مد نطاق حدودها للعراق بما يدخل العراق فى نطاق دول المواجهة بكل ما سيترتب على ذلك من متغيرات.

وإذا كان العراق يخوض حربه حاليا مع إيران، فإن ذلك يعنى أنه لم يعد ذلك العراق القوى الذى عرفته المنطقة قبل الحرب.

ومد نطاق الحدود الإسرائيلية إلى العراق سيقوى من فعالية الضغوط الإسرائيلية المضادة للعراق.

ووجود حدود إسرائيلية سعودية وإسرائيلية عراقية يؤثر سلبا على القضية الفلسطينية ككل.

فقوى الدعم المالى لن تكون قادرة على مواصلة دعمها بنفس الصورة، والقوى الفعالة فى دعم الفلسطينيين عسكريًّا، لن تواصل مسيرة الدعم العسكرى بنفس الاندفاع، وإذا كانت الثورة الفلسطينية قد خسرت كل مواقع التماس مع العدو، سواء فى الأردن أو لبنان، فإن ذلك يعنى صعوبات فى العمل العسكرى أو فى ممارسة العنف المسلح ضد إسرائيل.

ويبقى للثورة الفلسطينية أن تعتمد فى العنف المسلح على قوى الداخل برغم كل المعوقات.

ولكن هل يؤدى العنف المسلح وحده إلى تحقيق أهداف الثورة الفلسطينية؟

ماذا فعلت الثورة الفلسطينية لمواجهة المؤامرات:

* أطراف عربية تحذر المنظمة وتمدها بالمعلومات.

* ماذا ستكسب الثورة من إعلان حكومة مؤقتة الآن؟

* العدو سيوجه ضربة ضد قواتنا فى تونس وصنعاء.

الحوار الرابع

عندما اغتيل الزعيم اللبنانى معروف سعد فى فبراير عام ١٩٧٥، ارتفع الستار عن أحد الفصول المأساوية فى تاريخ لبنان، وفى تاريخ الثورة الفلسطينية، وكما يقول أبو عمار قائد مسيرة الثوار: «بدأت المسبحة تكر فى لبنان بعد ذلك، ففى أبريل جرت حادثة عين الرمانة.. لم تكن هذه الأحداث إرهاصات أو مقدمات لأحداث كبار، بل كانت أحداثًا من الأحداث الكبار التى مازالت مستمرة حتى الآن.

وإذا كان للكبار فى عالمنا المعاصر دور. فإن للقوى الإقليمية والمحلية أدوارا، سمحت بل وشجعت الكبار على أن يواصلوا مخططاتهم.

وهذه المخططات لم تكن سرًّا، كما أنها لم تحدث فجأة أو صدفة، حتى يتاح للبعض أن يتعللوا بأنهم لم يعرفوا مسبقًا، أو أن يبرروا مواقفهم بأن الأحداث فاجأتهم.. أو أنها كانت أسرع مما توقعوا.

والزعيم الفلسطينى لم يبخل فى الإبلاغ والشرح والمطالبة بموقف.. ولا يدعى أبو عمار أنه نظر فى كرة بلّورية ورأى حاضر ومستقبل المنطقة.. أبدًا لا يقول الرجل ذلك..

وبرغم توالى الأحداث، ومضى السنوات بكل أحزانها، وبكل الدماء التى نزفت وتدفقت، فإن أبو عمار مازال يذكر التفاصيل جيدًا، وبرغم كل المرارة التى تجرعها طوال الأعوام الماضية هو وقوى الثورة التى حافظت على العهد، فإنه كان يرويها للوفد الإعلامى المصرى الذى التقى به فى مقره بتونس، كشاهد عليها لا كواحد من ضحاياها. ويتوقف أبو عمار عند خمس محطات رئيسية:

المحطة الأولى: تحذيرات الرئيس اليوغسلافى تيتو له من الأحداث الصعبة التى ستشهدها المنطقة.

المحطة الثانية: البلقنة وخطط تقسيم المنطقة إلى دول طائفية وخريطة الكيان الدرزى التى أطلعه عليها الزعيم اللبنانى الدرزى كمال جنبلاط.

المحطة الثالثة: رؤيته للدم بعد إعلان تأجيل مؤتمر فاس الأول.

المحطة الرابعة: تحذير كلود شيسون وزير خارجية فرنسا للثورة الفلسطينية من صعوبة المرحلة القادمة التى تستهدف المنظمة وحياة أبو عمار السياسية.

المحطة الخامسة: تحذير الملك حسين له من انفجار الموقف فى منطقة البقاع بوجه منظمة التحرير والقيادة الفلسطينية.

الأولى

فى وقفته أمام المحطة الأولى قال أبو عمار: «عندما استقبلنى الرئيس تيتو في ٥ ديسمبر ١٩٧٤ قال لى احذر أنتم مقبلون على أحداث صعبة، وأخبرنى أن هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى، كان ضيفًا هنا وأبلغني أن قرارات مؤتمر الرباط الخاصة بأن منظمة التحرير هى الممثل الشرعى للشعب الفلسطيني، وبالدولة الفلسطينية. قد أربكت حساباته. وكان ذلك يعنى فهم الرئيس تيتو أن هناك قوي ستتحرك ضد الثورة الفلسطينية، وباتجاه معاكس

لتطلعات دول المنطقة التى عبرت عنها قرارات مؤتمر (الرباط) ويواصل أبو عمار قائلا: وأمام خطورة الأمر التقيت بكل الزعماء العرب وأبلغتهم بما قاله تيتو، لم أترك زعيمًا أو مسئولاً لم أبحث معه الأمر من كل جوانبه».

الثانية

وعندما تحدث عن بلقنة المنطقة، المحطة الثانية التى توقف عندها قال أبو عمار: «لقد كنا ثلاثة عند كمال جنبلاط، أنا وهانى الحسن وهايل عبد الحميد عندما أطلعنا على خريطتين، واحدة للكيان الدرزى وأخرى للكيان المارونى. وتمتد رقعة الكيان الدرزى على الخريطة من الدامور والجبهة على البحر المتوسط، إلى جبل الشوف وجزء من البقاع اللبنانى إلى سفوح جبل الشيخ، على الحدود السورية نزولاً إلى الجولان؛ ثم ممر حوران إلى جبل السويداء فى سوريا.

أى أن الكيان الدرزى يمتد من النقطة التى تلتقى عندها حدود كل من سوريا والعراق والأردن والسعودية إلى البحر المتوسط. هذه المنطقة بهذا الشكل تشكل منطقة عازلة بين دول المنطقة، ولم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء للاستنتاج، فقد كان مكتوبًا على خريطة الكيان الدرزى.

وبعد أن درسنا الخريطة بكل أبعاد المخطط مع الزعيم اللبنانى، أبلغنا أنه لم يقبل ما هو معروض عليه».

وفى وقفته أمام المحطة الثالثة قال أبو عمار: «بعد تأجيل مؤتمر فاس الأول رأيت الدم، أدركت أن الطريق إلى أنهار الدم أصبحت سالكة وإن فرصة وضع المخطط الطائفى موضع التنفيذ قد حانت، فقررت العودة، إلى لبنان، وأعطيت أمرًا بالتعبئة الشاملة بما فى ذلك تلاميذ المرحلة الإعدادية، وقلت للإخوة، إننا سندخل نفقًا مظلمًا. وقلت لهم أيضًا إن الإسرائيليين سيصلون إلى بيروت، وعندما ألقيت خطابًا فى ١٦ مارس ١٩٨٢ قلت فيه إننى سأنتظر شارون هنا وسأقاتله، ولم يصدق الكثيرون ذلك».

الرابعة

بالنسبة للمحطة الرابعة فقد طلب أبو عمار من هانى الحسن مستشاره السياسى أن يرويها لنا فقال: «فى ٢٢ ابريل ١٩٨٢ كنت أتفاوض مع كلود شيسون وزير الخارجية الفرنسى فى باريس حول نقل مؤتمر التضامن الذى أقرته الأمم المتحدة من باريس إلى جنيف، وبعد محادثات طويلة وافق الجانب الفرنسى على ثلاثة أمور:

الأول: تبادل الرسائل بين الرئيس الفرنسى ميتران وأبو عمار.
الثانى: تبادل الرسائل بين كلود شيسون وزير الخارجية

الفرنسي وفاروق قدومى رئيس الدائرة السياسية بمنظمة التحرير.

الثالث: عقد لقاء بين الرئيس الفرنسى وأبو عمار فى تونس فى شهر نوفمبر ١٩٨٣.

وبعد انتهاء المفاوضات سألت وزير الخارجية الفرنسي. كيف ترفض فرنسا انعقاد مفاوضات للتضامن مع الشعب الفلسطينى فوق أراضيها فى شهر أغسطس وتقبل بما هو أكثر، أى لقاء الرئيس الفرنسى والزعيم الفلسطينى فى نوفمبر. فقال شيسون:

«إنه سؤال هام وبأنه سيجيب عنه، ثم قال إن منظمة التحرير ستواجه صعوبات، فإذا نجحت فى تجاوزها واستمرت، فإننا سنلتزم بعقد هذا اللقاء وستكون المنظمة وقيادتها مستحقة له، أما إذا قضى عليها فقد انتهى الأمر.

وقال شيسون أيضًا: آمل أن يأتى عام ١٩٨٤ ويكون أبو عمار على قيد الحياة سياسيًّا، وإذا حدث ذلك فسيأتى بنفسه لتهنئته.

ويعلق أبو عمار: «وقد بدأت المؤامرة على المنظمة فى طرابلس فى ٩ مايو ١٩٨٣ أى بعد تحذير شيسون بـ ١٧ يوما».

الخامسة

وفى وقفته أمام المحطة الخامسة قال أبو عمار: «فى حديث هام مع الملك حسين يوم ٢ مايو ١٩٨٣ حينما التقيت به فى عمان، وذلك بعد أن توقفت مباحثاتنا فى يوم ١٨ ابريل ١٩٨٣.. قلت للملك إننى سأقابل الرئيس الأسد بعد يومين، أى يوم ٤ مايو، وهذا اللقاء ليس ردًا على انهيار مباحثاتنا» فسألنى الملك: لماذا أصر على استمرار هذه اللقاءات؟ وواصل الملك حديثه قائلاً:

«إن هناك انفجارًا سيحدث فى البقاع.. ثم سألنى: بوجه من سيكون... الانفجار»؟..

ويقول أبو عمار مواصلاً حديثه: «خلال هذه المرحلة كان تقديرنا أن الانفجار سيكون سوريا - إسرائيليا» لذلك أجبت الملك بقولى: «أنت مُطَّلع ولذا لا أظنك تتوقع أن يكنس الجيش السورى الجيش الإسرائيلى حتى نهاريا».

فتدخل مضر بدران فى الحديث قائلاً: «إن الانفجار سيكون بوجهكم».

«وقال الملك معقبًا: إن للثورة الفلسطينية جبهة فى البقاع، وهذه الجبهة لا تدخل فى التسوية، ولذا فإن المطلوب ألا تكون هذه

الجبهة موجودة، وقال الملك: إن هذا اتجاه أو مخطط سيجرى تنفيذه، وإننا سنعيش فى البقاع تجربة أليمة.. ثم عقب الملك قائلاً: وأرجو أن أكون مخطئاً.. ويقول أبو عمار: إن الملك حسين عندما يحكى، أى عندما يقرر أن يحكى، فإنه يلتزم الصدق»..

ويقول أبو عمار.. وانفجرت المؤامرة.. يوم ٩ مايو..

حقائق أساسية:

فى هذه المحطات الخمس نستطيع أن نتبين مجموعة حقائق أساسية:

١ - أن الثورة الفلسطينية توفرت لها معلومات جيدة عن اتجاهات الأحداث فى المنطقة، ليس ذلك فقط، بل أيضًا عن الصعاب والمؤامرات التى دبرت وتدبر لها وللمنطقة ككل.

٢ - إن أطرافًا دولية هامة لم تبخل على المنظمة بالمعلومات أو النصيحة.

٣ - إن أطرافًا عربية لها وزنها أوضحت لقيادة الثورة بجلاء حقيقة ما يدبر للمنطقة وللثورة ولمنظمة التحرير.

٤ - إن هذه المعلومات والنصائح وجدت طريقها للمنظمة فى أوقات مناسبة.

وبرغم كل هذه الحقائق. جاءت نتائج الأحداث وفقًا للمخططات التى علمت بها المنظمة.. فلماذا؟

إن هناك مجموعة من التساؤلات تبدأ بهذا التساؤل..

وإذا كانت الثورة على علم بمخططات بلقنة المنطقة، وإنشاء كيانات طائفية بها، فما هى الخطوات أو السياسات التى تبنتها المنظمة؟

فلا يكفى فى العمل الثورى السياسى أو العسكرى مجرد الإدراك، لابد من النزوع لعمل يتمثل فى سياسات وإجراءات..

وسنمضى مع أبو عمار وهو يقول للوفد الإعلامى المصرى: إن المخطط يتضمن إنشاء ٦ كيانات طائفية، درزية وشيعية ومارونية وعلوية وسنية وأرثوذكسية..

وسنتفق معه وهو يقول: والآن اعترف دوليًّا بالكيان الدرزى والكيان المارونى، ضمن الدولة اللبنانية، والباقى فى الطريق.

وسنقول مع أبو عمار «إن إسرائيل بين دول الطوائف ستكون هى الأقوى وإن العاصمة فى دول الطوائف ستكون تل أبيب».

وسنتألم حتى العظام وهو يذكر العالم العربى بمأساة الأندلس الذى ضاع عندما جرى تقسيمه إلى دويلات.

ويظل السؤال.. ماذا فعلت الثورة الفلسطينية لمواجهة هذا المخطط؟

عامل توحيد:

يقول أبو عمار: لقد أثبتت الأحداث أننا كنا فى لبنان عامل توحيد للأرض والشعب، كنا هناك نحبس الغول الطائفى فى القمقم وعندما خرجنا انفجر الاقتتال بين كل القوى.. خرج الغول الطائفى من القمقم..

وهنا لنا وقفة مع أبو عمار فى إطار مناقشتنا للقضايا التى أثارها.. فمنذ وصلت المقاومة الفلسطينية إلى لبنان بعد أحداث سبتمبر عام ١٩٧٠، بدأت تتحول إلى فريق على الساحة اللبنانية، ولم تستطع القيادة الفلسطينية أن تستوعب درس الأردن، عندما تحولت المنظمة إلى دولة داخل الدولة، بما أدى فى النهاية إلى تصاعد التوتر إلى درجة الانفجار فى سبتمبر عام ١٩٧٠.

ومثلما تصاعد التوتر فى الأردن تصاعد التوتر فى لبنان، وتوالت المعالجات الجزئية والتى ثبت أنها لم تنجح فى تحقيق الهدف منها.

وأن تطلب الثورة الفلسطينية من لبنان أن يكون (هانوى) بالنسبة لها، فإن ذلك مطلب يتجاوز الواقع كثيرًا (فهانوى) عاصمة فيتنام الشمالية، كان قد سبق لها أن تحررت عقب حرب تحرير جحة، ضد القوات الفرنسية المحتلة بقيادة (منظمة فيتنامية) عمها (هوشى منه) وقاد قواتها الجنرال (جياب).

وعندما انفجرت الثورة فى فيتنام الجنوبية بقيادة منظمة (الفيتكونج) كان طبيعيًّا ومنطقيا أن تصبح هانوى هى العاصمة التى تدعم (الفيتكونج) وذلك بالإضافة إلى رباط العقيدة الشيوعية التى تربط بين منظمة (فيتمنة) ومنظمة (فيتكونج).

فأين من ذلك العلاقة بين لبنان ومنظمة التحرير؟

لبنان الدولة التى تتجنب الصدام مع إسرائيل، ومنظمة التحرير التى تقاتل لتغيير واقع من أجل حقوقها الشرعية.

والسـؤال:

هل كان فى تحول منظمة التحرير فى لبنان إلى فريق بين الفرقاء مايساعد على مواجهة مخططات البلقنة؟

وتساؤل آخر حول إدراك أبوعمار وقيادة المقاومة لحجم الخطر الذى تمثله فى مواجهة المخططات المعادية للمنطقة ودولها.. وفى ذلك يقول أبوعمار: «إن مخطط البلقنة كان مقررًا أن يبدأ فى لبنان، ولكى يبدأ كان لابد من ضرب الثورة الفلسطينية وإزاحتها من لبنان ليمضى المخطط فى طريقه إلى التنفيذ».

أى أن أبوعمار كان مدركًا وواعيًا لاتجاهات الريح.

التوقيت:

ولكننا نختلف معه فى توقيت ضرب المنظمة.. فالأحداث لم تبدأ

بعد مقتل معروف سعد فى فبراير عام ١٩٧٥ وأحداث عين الرمانة فى ابريل من نفس العام..

إن الأحداث بدأت بإخراج المنظمة من الأردن عام ١٩٧٠.
إن محاولة ضرب المنظمة، كانت تتطلب حصرها فى منطقة واحدة.. مثل هذه الخطوة كانت ضرورية لتوجيه الضربة الرئيسية ولاأقول النهائية.

ومضى المخطط فى طريقه..

وساعدت المنظمة القوى المعادية على وضع المخطط موضع التنفيذ، سواء بممارساتها الخاطئة داخل الأردن، أو بالتحول تدريجيًّا من قوات مقاومة موزعة على خلايا ومجموعات قتال منتشرة وصغيرة العدد، إلى تشكيلات أقرب إلى تشكيلات الجيوش لها قواعد ثابتة.

وعندما خرجت قوات المقاومة من الأردن عام ١٩٧٠ وتوجهت إلى لبنان، كانت الخطوة الرئيسية الأولى قد تحققت.. وبدأت الثورة فى السير على نفس الطريق الذى جربته فى الأردن، وخسرت المقاومة الفلسطينية الكثير من التعاطف داخل لبنان، وعندما حدث ذلك أصبحت الأرض ممهدة..

وعلى هذه الأرض سارت كل القوى: أمريكية وسوفييتية ـربية وإسرائيلية، لاقتلاع المقاومة الفلسطينية وقيادتها من لبنان،

بعد هزيمتها وكسر بنيتها العسكرية.. ومرة أخرى تساعد الثورة أعداءها..

كيف ؟

وتساؤل آخر .. فى ٢٢ ابريل ١٩٨٣ سمع هانى الحسن مستشار ياسر عرفات تحذيرًا من كلود شيسون وزير الخارجية الفرنسى عن الصعوبات التى ستواجهها المنظمة بهدف القضاء عليها، وتحذيرًا آخر عن محاولات القضاء على أبو عمار سياسيًّا، ومع ذلك فعندما التقى أبو عمار مع الملك حسين فى ٢ مايو ١٩٨٣ أى بعد تحذير شيسون بعشرة أيام، وحذر الملك من انفجار سيحدث فى البقاع حيث توجد جبهة للثورة الفلسطينية، كان تقدير أبو عمار ان هذا الانفجار سيكون سوريًّا - إسرائيليًّا أى أنه بعد عشرة أيام من تحذير شيسون كانت تقديرات زعيم الثورة الفلسطينية أن المواجهة ستكون بين إسرائيل وسوريا.

كيف ؟

وليس لى تعليق.

أبو عمار والقادة العرب:

والتساؤل التالى: إذا كان أبو عمار قد أبلغ القادة والزعماء العرب بالمخاطر التى تتعرض لها المنطقة ولم يصدقه أحد، وإذا كانت

الأحداث تؤكد باستمرار صدق ما ذهب إليه أبو عمار، فهل مازال الموقف كما هو؟

أى هل مازال يحذر.. ومازال الزعماء العرب على نفس موقفهم من تحذيرات أبو عمار؟

وإذا كان الأمر كذلك.. فلماذا؟

وما هى الأسباب؟

وهل يفتح ذلك الباب أمام قيادة المقاومة لإعادة تقدير الموقف؟

الحكومة المؤقتة:

بعد هذه المحطات التى توقف عندها أبو عمار، كانت هناك علامات واضحة فى حديثه تصور إطارا لحركة المقاومة الفلسطينية فى المستقبل، من هذه العلامات: الحكومة المؤقتة.. يقول أبو عمار: سيأتى الوقت الذى تعلن فيه الثورة حكومتها. ولكن ماذا تكسب الثورة الآن لو شكلت حكومة مؤقتة؟

فهناك الآن ١٣٧ دولة تعترف بمنظمة التحرير، بالإضافة إلى العضوية الكاملة للمنظمة فى جامعة الدول العربية ومؤتمر عدم الانحياز، ومنظمة المؤتمر الإسلامى ومنظمة اليونسكو والاكوا التابعتين للامم المتحدة.. وأيضا عضوية المنظمة كمراقب بمنظمة الأمم المتحدة.

ولو جرى إعلان حكومة مؤقتة فهل ستعيد هذه الدول الاعتراف بالحكومة المؤقتة بدلاً من منظمة التحرير؟ وما هو الجهد السياسى الذى سنبذله للحصول على هذه الاعترافات وأية اعترافات جديدة؟

لقد تطلبت منا هذه الاعترافات بالمنظمة جهودًا شاقة، استغرقت كثيرًا من الوقت، ولا أعتقد أن هذه هى المرحلة المناسبة للإقدام على هذه الخطوة.

ضربة معادية:

وخلال اجتماع أبو عمار بالوفد الإعلامى المصرى مساء يوم ٣٠ أبريل الماضى قدم أحد مساعديه برقية له. فتوقف الحديث لحين الانتهاء من قراءة البرقية.. بعدها قرأ ابو عمار البرقية ونصها: «وصلت معلومات من إحدى عواصم الشرق الأوسط أن الحكومة الحالية فى إسرائيل قد تقدم على القيام بضربة عسكرية مزدوجة، هدفها من جهة: الرد على العمليات الفدائية داخل الأراضى المحتلة، ومن جهة أخرى تحسين مركز تجمع الليكود داخل اسرائيل مع اقتراب الانتخابات النيابية، وحسب هذه المعلومات فإن اسرائيل قد توجه ضربة خاطفة ضد إحدى القواعد الفلسطينية خارج الإطار الجغرافى المعهود، وقد يكون ذلك بعيدًا عن الأهداف

التى تعودت القوات الإسرائيلية القيام بها.

ويقول أبو عمار: «أتوقع أن توجه هذه الضربة ضد قواتنا هنا فى تونس أو ضد قواتنا فى صنعاء».

ويعتمد أبو عمار فى تقديره لاتجاه الضربة إلى ما جاء فى البرقية حول (إحدى القواعد خارج الإطار الجغرافى).

وفى هذا التقدير ربما كان أبو عمار على صواب. وربما لا.. فما هى جدوى ضرب قواعد الفلسطينيين الآن فى تونس أو صنعاء؟

وما هو حصاد هذه الضربة؟

أمن أجل عدة مئات من القتلى والجرحى تقدم إسرائيل على هذه المغامرة غير المأمونة العواقب؟

إن إسرائيل لم توجه ضربة خارج نطاق دول المواجهة، إلا إذا كان هناك تهديد للأمن كما تراه.. فالضربة التى وجهتها للمفاعل الذرى العراقى كانت فى هذا الإطار. وكانت المخاطرة تساوى الحصاد.. وهكذا عندما أقدمت على عملية عنتيبى إذا اعتبرناها عملية عسكرية خارج نطاق دول المواجهة.. وإذا كان بيجين قد أقدم على عملية ضرب المفاعل الذرى العراقى وفى ذهنه حسابات الانتخابات النيابية فى إسرائيل، فإن أى رئيس وزراء إسرائيلى آخر ليس مضطرًّا لتكرار نفس السيناريو.. ولست أعنى بذلك أن

إسرائيل قد رفعت يدها عن مخطط تصفية رجال وقادة المقاومة الفلسطينية.. لا.. إسرائيل ستواصل نفس النهج وبكل الأساليب المتاحة، إلى أن تحدث متغيرات تفرض عليها أسلوبا آخر ونهجًا آخر.. سواء أكانت متغيرات عسكرية أو سياسية.

نهاية مشوار الحوار مع أبو عمار:

* بدون السعى للسلام يصبح الثوار مجرد عصابة تحمل السلاح.

* أؤيد المشروع المصرى الفرنسى للسلام.

* الإسرائيليون سجناء شعار الحرب.

الحوار الخامس

ونحن نقترب من نهاية مشوار الحوار مع أبو عمار، ومناقشة القضايا الرئيسية التى أثارها، والذى بدأ باللقاء معه يوم ٣٠ أبريل الماضى، وتضمن نشر أربع رسائل صحفية أيام ٧، ١١، ١٤، ٢١ مايو١٩٨٤. بالإضافة إلى هذه الرسالة الخامسة، فإننى أحب أن أوضح أن اللقاء الذى استغرق أكثر من أربع ساعات احتاج منى إلى خمسة أسابيع من العمل، سواء لدراسة ما قاله أبو عمار، أو لمناقشة ما قاله،

وما كان ممكنًا أن نبذل هذا الجهد إلا فى
إطار الحرص على الثورة الفلسطينية أولاً،
ولإدراكنا لمسئوليتنا أمام القارئ والرأى
العام المصرى بالدرجة الأولى..

وفى إطار الحرص على التورة الفلسطينية، وعلى صواب اختياراتها وحسن تقديرها لحسابات القوى المختلفة، فلقد طرحنا أمام أبو عمار وجهات نظرنا، برغم علمنا أن بعضها لن يلقى منه أو من باقى القادة الرضا. وفى إطار هذا الحرص أيضًا كانت معالجتنا للحوار مع أبو عمار، وممارستنا لحقنا فى إبداء الرأى مخلصًا لمن يبذلون أرواحهم على طريق الثورة وصولاً لهدفها.. وكان اختيارنا أن نرى الثورة الفلسطينية بعيون مصرية، لا أن نرى مصر بعيون فلسطينية ، كما يحلو لبعض حملة الأقلام المصريين أن يفعلوا، تعبيراً عن مدى إدراكنا لمسئوليتنا أمام القارئ والرأى العام المصرى..

بعد أن انطلقت الرصاصات الأولى لمنظمة فتح وجناحها العسكرى «العاصفة» عام ١٩٦٥، تعددت ردود الأفعال فى المنطقة ، كان الفلسطينيون فى معظمهم وهم يقتاتون الوهم والآمال الضائعة يحلمون بهذه اللحظة، وعندما دقت اللحظة أبواب الزمن كان من الصعب عليهم عبور الجسر، للانضمام إلى الطليعة الثائرة بكل اهم.. هذه القوى التى «هدها» الكيان الإسرائيلى المنظم بقدر،

وبعثرتها الدول العربية غير المنظمة بقدْر أكبر.

وأثارت الألغام البدائية التى استخدمها ثوار فتح ثائرة المسئولين فى إسرائيل، فالأغلبية منهم لم تتوقف أمام بدائية الألغام وبساطة العمل الأول، بل توقفت أمام هذا التغير الجديد بكل ما سيترتب عليه خاصة فى المستقبل

وانتفض المسئولون للعمل بهمة لاجتثاث هذه المجموعة بعد التعرف على امتدادها وقيادتها وقاعدتها.

وكان مقدرًا أن تفشل كل محاولات إسرائيل حتى الآن، فى اجتثاث هذه المجموعة الأولى التى تضخمت ونمت على امتداد السنوات العشرين الماضية، برغم كل المحن ومرارة التجربة وصعوبات الطريق.

وعلى امتداد الطريق تمكنت إسرائيل من توجيه ضربات ناجحا ونجحت فى تحقيق أهداف كثيرة. ولكن ظل هدف اجتثاث الثور والثوار بعيدًا عن متناول يدها، وأيدى قوى أخرى غيرها.

وإذا أردنا حساب نجاح العدو، فإن نصيبًا من هذا النجاح يعود الفضل فيه إما إلى الثورة الفلسطينية، والثوار الفلسطينيين أو إلى أطراف عربية، ودون إغفال دور القوى الكبرى فى عالمنا المعاصر التى تخوض تجربة حرب الحركة فى منطقة الشرق الأوسط، منذ نهاية

الحرب العالمية الثانية سعيًا وراء مناطق نفوذ.

فكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى القوتين العظميين فى عالمنا المعاصر،تسعى لتحقيق أهدافها المخططة، والمحددة سلفًا فى المنطقة، والدولتان وإن كانتا تضمنان بقاء واستمرار وجود إسرائيل، إلا أن أهداف كل من الدولتين تختلف عن الأخرى.. ففى حين ترى الولايات المتحدة أن الوجود الإسرائيلى يحمى مصالحها فى المنطقة فإن الاتحاد السوفييتى يرى فى استمرار وجود إسرائيل عاملاً من أهم عوامل عدم الاستقرار فى المنطقة، ومن بين حالة عدم الاستقرار ستتاح له فرص متعددة ومواتية أحيانًا، لتحقيق مكاسب قابلة للتزايد بإستمرار حالة عدم الاستقرار.

الولايات المتحدة:

وستظل إسرائيل قادرة على إقناع الولايات المتحدة بدعمها..

فإسرائيل تشكل للولايات المتحدة حليفًا يمكن الاعتماد عليه فى مخططاتها. فإسرائيل قوة عسكرية يعتد بها.. ودولة مستقرة فى منطقة لا تعرف الاستقرار، كما أنها تمثل نموذجًا ديمقراطيًّا مقبولاً من الرأى العام الغربى، بصفة عامة والأمريكى بصفة خاصة.

والولايات المتحدة ونتيجة للتطورات السياسية والعسكرية ,الاقتصادية والاجتماعية التى شملت العالم، بعد الحرب العالمية

الثانية، وكنتيجة لها، تحولت إلى قوة تحمى الأمر الواقع فى إطار صراعها مع الاتحاد السوفييتى، والقوة العظمى الثانية التى خرجت من بين أنقاض الحرب العالمية الثانية.

وهذا الإطار العام لحركة السياسة الأمريكية وضعها فى صدام مع قوى التحرر الوطنى، خاصة فى دول العالم الثالث.

وهكذا وجدت الثورة الفلسطينية نفسها فى صدام لم تسع إليه مع الولايات المتحدة الأمريكية، فالثورة الفلسطينية نقيض للواقع وتسعى إلى تغييره، فى حين أن الولايات المتحدة تحمى هذا الواقع وتدعمه.. ولأن الدول الكبرى كثيرًا ما تصاب بالغباء، فإن الولايات المتحدة لم تستطع أن تستوعب جوهر وحقيقة الثورة الفلسطينية.. وإنه لا يمكن القضاء على شعب يطالب بحقه فى أرضه المغتصبة، ولا اجتثاث قوى ثورته وكأنها لم تكن.

وظلت علاقات الثورة بالولايات المتحدة علاقات غير صحية.. وبرغم كل المحاولات الدولية والإقليمية لتصحيح مسار هذه العلاقة فقد ظلت الأمور بعيدة عن التوازن.

وفى حين كانت الأمور داخل منظمة التحرير تتجه إلى الحسم بعد الخروج من بيروت ، بما يعطى المنظمة قوة دفع جديدة تساعدها على تجاوز المحنة، فإن الولايات المتحدة أرسلت إلى أبو عمار رسالة تنصحه بالحفاظ على الوحدة الوطنية.. فهذه الوحدة ستساعد

أمريكا على العمل من أجل الوصول إلى حل سلمى مرضى، وكانت هذه النصيحة تعنى أن يقدم أبو عمار قدرًا من التنازلات لهذه المنظمات، أو المجموعات الفلسطينية داخل المجلس الوطنى، تلك المجموعات التى كشفت أحداث الغزو الإسرائيلى الشامل للبنان وحصار بيروت عن وجهها الحقيقى والقوى التى تعتمد عليها، وكانت هذه التنازلات فى جانب منها تعنى وضع عراقيل فى طريق الثورة الفلسطينية باتجاه مصر.. وأيضًا باتجاه الأردن.. وابتلعت الثورة الفلسطينية الطعم الأمريكى، وحافظ أبو عمار على الوحدة الوطنية.. ولم يدرك أبو عمار الحقيقة إلا بعد انفجار أحداث طرابلس فى مايو ١٩٨٣، وعندما سألت أبو عمار عن هذه النصيحة الأمريكية أجاب بغضب وعصبية.. لا.. لم تكن هناك مثل هذه النصيحة.

الثورة والاتحاد السوفييتى:

وقد ساعدت أحداث بيروت، ومن بعدها أحداث طرابلس على اكتشاف الوجه الحقيقى للسوفييت.

فعندما جرى الغزو الإسرائيلى للبنان فى يونية عام ١٩٨٢ لم يتحرك الاتحاد السوفييتى لدعم المقاومة الفلسطينية فى محنتها، كما ترك السوريين يواجهون هزيمة منكرة، على أيدى القوات الإسرائيلية دون مساعدة.

وخسرت سوريا قواعد صواريخها الموجهة المضادة للطائرات فى البقاع، كما خسرت ١٠٨ طائرات مقاتلة فى قتال جوى دون أن تسقط لإسرائيل طائرة، بل دون أن تتمكن الطائرات السورية من اكتشاف الطائرات الإسرائيلية.

وخلال حصار طرابلس بواسطة قوات المنشقين والقوات السورية، قال أبو عمار للوفد المصرى الذى زاره هناك: إن السوفييت فضلوا الحلفاء السوريين على الأصدقاء الفلسطينيين.

وفى هذا كان أبو عمار مصيبًا: فقرار التخلص منه صدر فى موسكو ودمشق فى نفس الوقت.. وهكذا ساعدت العاصمتان على تحقيق بعض أهداف إسرائيل.. وإذا كان أبو عمار قد خرج حـً وخرجت قواته من طرابلس، فإن ذلك تحقق بفضل وقفة الشع الفلسطينى فى الضفة وغزة خلف أبو عمار، وضغوط الرأى العا العالمى وفعالية السياسة المصرية، وليس ثمة شك فى أن السوفييت والسوريين قد نجحوا فى تقليم أظفار أبو عمار.

والسوفييت فى علاقتهم بالثورة الفلسطينية حاولوا استخدامها لصالح مخططاتهم.. لقد قدموا لها الدعم العسكرى والسياسى، طالما كانت المنظمة تعمل فى إطار مخططاتهم. وعندما بدت فى الأفق اتجاهات فلسطينية سلمية تحت المظلة الأمريكية، تحركت موسكو

ضد الثورة، حفاظًا على مصالحها التى بدأت تتعرض لخطر جديد، يمكن أن يعرض كل المخططات السورية للتقلص.

ويبدو أن القيادة الفلسطينية كانت فى حاجة إلى مثل هذا الدرس لتدرك حقيقة الأهداف والتوجيهات السوفييتية فى المنطقة.

السوفييت وفلسطين:

وتوضح لنا أحداث التاريخ أن الاتحاد السوفييتى ظل رافضًا لفكرة دولة صهيونية فى فلسطين حتى نوفمبر عام ١٩٤٧، حينما أعلن جروميكو المندوب السوفييتى فى الأمم المتحدة فجأة موافقة بلاده على مشروع التقسيم..

ويرجع السبب فى هذا التغيير المفاجئ فى الموقف الروسى إلى تغير نظرة السوفييت إلى العالم بعد الحرب العالمية الثانية.. لقد أصبحت موسكو عاصمة قوة عظمى، بل إحدى القوتين العظميين، وكانت واشنطن هى العاصمة الأخرى، وهذا فرض على موسكو أن تعيد حساباتها فى إطار الصراع والتوازن مع القوة الأخرى.

وكان الموقف السوفييتى الجديد انعكاسًا وتعبيرًا عن سياسات جديدة، تسعى إلى كسب مناطق نفوذ وحرمان القوة الأخرى من مناطق نفوذها.

والموافقة على قرار التقسيم كانت تستهدف خلق حالة من عدم الاستقرار فى المنطقة، بفتح الأبواب لصدام بين الصهيونية والعروبة.. واستمرار عدم الاستقرار سيؤدى إلى فتح الباب أمام النفوذ السوفييتى، وخلخلة النفوذ الغربى فى المنطقة، هذه واحدة.

أما الأخرى فقد تمثلت فى الأحزاب الشيوعية فى المنطقة التى أسرعت تتبنى موقف موسكو الجديد.

وعندما انفجرت الحرب فى مايو ١٩٤٨ هاجم الشيوعيون العرب جميعًا هذه الحرب.. بما فى ذلك الحزب الشيوعى الفلسطينى.. فى حين قاتل أعضاء الحزب الشيوعى الإسرائيلى بضراوة من أجل استقلال إسرائيل.

كان الشيوعيون فى إسرائيل يقتلون العرب كل يوم، وكان الشيوعيون الفلسطينيون والعرب يتظاهرون ضد هذه الحرب ويصدرون المنشورات والبيانات لإدانتها.

درس من أفريقيا:

وإذا لم يتعلم القادة الفلسطينيون من تاريخهم.. فإن هناك درسًا آخر من أفريقيا.. لقد ظل السوفييت يدعمون منظمة «سوابو» التى تقود حركة التحرر فى ناميبيا ضد قوات جنوب أفريقيا.

وكانت أنجولا تمثل بالنسبة لمنظمة «سوابو» قاعدة دعم رئيسية

أو فلنقل إنها كانت بمثابة «هانوى» لمنظمة «سوابو» واحتشدت قوات كوبية للعمل كمرتزقة، لحماية النظام الشيوعى فى أنجولا ودعم «سوابو».

وفى ربيع عام ١٩٨٤ اضطرت أنجولا إلى توقيع اتفاق مع حكومة جنوب أفريقيا تخلت بمقتضاه عن دعم منظمة «سوابو»، ووقعت موزمبيق اتفاقًا مماثلًا مع حكومة جنوب أفريقيا، وهكذا فى ضربة واحدة تخلى السوفييت عن دعمهم لدولتين شيوعيتين هما أنجولا وموزمبيق، وعن دعم حركة تحرر وطنى هى «سوابو» وعن دعم المؤتمر القومى فى جنوب أفريقيا، وإذا كنا قد وصلنا إلى نهاية المشوار.. فإن تساؤلنا السابق مازال قائمًا: هل يؤدى العنف المسلح وحده إلى تحقيق أهداف الثورة الفلسطينية؟ ومرة أخرى فإن العنف المسلح هو ضرورة بالنسبة للثورة، وأى إسقاط للخيار العسكرى.. هو إسقاط للثورة ذاتها.

السلام

ولكن يظل العنف المسلح وسيلة لتحقيق أهداف سياسية، وبصورة أكثر وضوحًا لتحقيق السلام.

وفى ذلك يقول أبو عمار: «لو لم نكن نسعى إلى أهداف

سياسية، ولو لم نكن نريد السلام، لكنا أشبه بالعصابة منا لقوى ثورية.

وقد توالت تصريحات أبو عمار حول قضية السلام..

لقد قال الوفد المصرى إنه يحتكم إلى الشرعية الدولية، إنه يوافق على مؤتمر دولى تحت رعاية الأمم المتحدة لتحقيق السلام العادل.

وقد وافقت مصر والأردن على عقد مثل هذا المؤتمر، برغم رفض الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا، واستبعاد إسرائيل لفكرة عقد هذا المؤتمر.

وأعلن أبو عمار: إنه لتحقيق سلام عادل لا يكون فيه منتصر أو مهزوم، فإنه مستعد لإجراء مباحثات مباشرة مع إسرائيل تحت إشراف الأمم المتحدة.

وفى تصريحه هذا قال: «إننى أوجه هذا التحدى لجميع الإسرائيليين، وهو السلام العادل.»

وقال أيضًا: «أن الإسرائيليين سجناء شعار الحرب، ومن ثم لا يمكننى تصور حكومة إسرائيلية لديها الشجاعة للجلوس معنا».. وعن الاعتراف بإسرائيل قال أبو عمار: «نحن لا نحارب أشباحًا، بل نحارب الإسرائيليين، وهم أيضا يحاربوننا فلا نحن أشباح

ولا هم، إلا أن الاعتراف لا يكون إلا بين الدول، وأنا لا أملك الحق فى الاعتراف بإسرائيل إلا حينما أكون على رأس السلطة».

ويؤكد أبو عمار باستمرار أن هدفه الوحيد فى الشرق الأوسط هو السلام دون منتصرين أو منهزمين، بل السلام فقط. وفى إطار التحرك نحو السلام أعلن أبو عمار تأييده للمشروع المصرى الفرنسي للسلام فى الشرق الأوسط. وهو المشروع الذى يطالب بتبادل الاعتراف المتزامن بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل.

كما أعلن أبو عمار أيضًا عن موافقته على مبدأ تبادل الاعتراف بين إسرائيل والدولة الفلسطينية، على أساس لا غالب ولا مغلوب.. مثل هذه المواقف الجديدة لأبو عمار تعبر عن حقيقة الطريق الذى قطعه، فى إتجاه السلام منذ توقيع اتفاقيتى كامب ديفيد، وما أعقبه من تشنج عربى وفلسطينى، والمتغيرات التى ترتبت على الغزو الإسرائيلى الشامل للبنان عام ١٩٨٢. وأحداث طرابلس عام ١٩٨٣.

وإذا كنت قد قلت لأبو عمار: إن اختيار كامب ديفيد هو اختيار مصرى عقلانى، وتعبير عن مدى واقعية السياسة المصرية ووعيها التام بأن السياسة هى فن الممكن، فإن أبو عمار كان أمينًا، عندما قال إن الاقتراب الفلسطينى من مصر سيكون بقدر ابتعادها عن سياسة كامب ديفيد.. ولم يقل القائد الفلسطينى الابتعاد عن كامب ديفيد فالقائد الفلسطينى أصبح محيطًا إحاطة جيدة بحقيقة الموقف

المصرى، سواء بالنسبة للقضية الفلسطينية، أو لقضية السلام.

فأبو عمار يعلم أن إلغاء كامب ديفيد اختيار غير واقعى. فبجانب التفاف الشعب المصرى حول اختيار السلام، ووضوح الأسباب التى قادت إلى هذا الاختيار، وعمق الاقتناع بالنتائج التى تحققت، فإن مثل هذا القرار يعنى أن تخسر مصر نحو ١١ مليار دولار سنويًّا، تمثل عائدات بترول سيناء وجملة المعونات والمساعدات والقروض التى تحصل عليها مصر من الولايات المتحدة.. دون تجاهل احتمال عودة القوات الإسرائيلية إلى سيناء.

وفى تصريح لكمال حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصرى قال: إن عرب مؤتمر بغداد قرروا تقديم ٥ مليارات دولار سنويًّا لمصر فى حالة تخليها عن كامب ديفيد. وقد رفضت مص مجرد استقبال الوفد الذى يحمل هذا العرض. والآن تبين للعرب مصر تحصل على ١٠ مليارات دولار سنويا كنتيجة لكامب ديفي

وإذا كانت حقيقة المواقف المصرية قد أصبحت واضحة أمام أبو عمار، فإن الخيارات المتاحة أمامه أيضًا بعد أن كشفت كل القوى أوراقها بصور أكثر وضوحًا خلال العامين الماضيين، وبعد أن سقطت كثير من الأقنعة عن قوى إقليمية ومحلية وفلسطينية، تصبح أكثر تحديدًا ووضوحًا.

وإذا كانت محاولات تطويق الخلافات الفلسطينية تثير قدرًا من

التفاؤل، وإذا كانت محاولات الوساطة بين القيادة السورية وأبو عمار لم تثمر حتى الآن؟ وإذا كانت محاولات جس النبض الواسعة النطاق التى يقوم بها أبو عمار وباقى أعضاء القيادة الفلسطينية، تضىء الطريق أمام الثورة الفلسطينية؟ فإن كل ذلك لابد أن يقود إلى اختيار حاسم خلال الفترة القريبة القادمة، وقبل أن تهب رياح الخريف الباردة على المنطقة.

* * *

رقم الإيداع		١٩٨٥ / ٤٢٧٢
الترقيم الدولى	٩٧٧-٠٢-١٣٩٥-٠	ISBN

١ / ٨٥ / ١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)